الجمـــهورية الجـــزائرية الديـــمقـــراطية الشعـــبية
وزارة التـــعـــليـــم العـــالي والبـــحـــث العـــلمـــي
جـامـــعة الدكتـــور مولاي الطاهر سعيدة
كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية
قسم العلوم الانسانية شعبة تاريخ

تخصص: تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر بعنوان

السجالات الفقهية في الأندلس بين المالكية والظاهرية أواخر القرن 04هـ/10م

(ابن حزم وابن الباجي أنموذجا)

تحت اشراف الأستاذ:
- قدوري عبد الرحمن

تقديم الطالبة:
- حاجي سعاد

السنة الجامعية 2018/2017
1439هـ /1438هـ

الجمـــهورية الجـــزائرية الديـــمقـــراطية الشعـــبية
وزارة التـــعـــليـــم العـــالي والبـــحـــث العـــلمـــي
جـامـــعة الدكتـــور مولاي الطاهر سعيدة
كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية
قسم العلوم الانسانية شعبة تاريخ

تخصص: تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر بعنوان

السجالات الفقهية في الأندلس بين المالكية والظاهرية أواخر القرن 04هـ/10م

(ابن حزم وابن الباجي أنموذجا)

تقديم الطالبة:

- حاجي سعاد

أعضاء لجنة المناقشة

1- .....رئيسا

2-الأستاذة قدوري عبد الرحمن.....مؤطرا

3- ..... مناقشا

السنة الجامعية 2018/2017

1439هـ /1438هـ

الاهداء

إلى أعز ما أنعم به الله علي من نعم بعد نعمة الايمان اليكما أبي

وأمي الغاليين حفضهما الله وأطال في عمرهما .

إلى من كان لهم الفضل في مساندتي ودعمي أختي شهرزاد التي

حرمت نفسها لتلبية حاجياتي إلى أخي العزيز

جلال إلى قرة عين العائلة هيبة الرحمان حفضها الله ورعاها .

إلى أخواتي رفيقات دربي سمية التي لم تبخل علي بالدعم المادي

والمعنوي وفاطمة الزهراء ودنيا أنار الله دربهما بنجاح.

إلى أختي نجاة بودينار وإلى كل الصديقات

خاصة فاطمة جلايلي، ومخطارية ووسيلة.

ولا ننسي بالذكر الخال العزيز حنيفي

وإلى عمي محمدوزوجته أمينة

وبنتيهما منال وهاجر أمينة.

سعاد حاجي

الشكر والعرفان

أشكر الله العلي القدير الذي وفقني في انجاز هذا العمل راجية منه سبحانه وتعالى أن يجعله نافعا في الدنيا ويجزيني ثوابه في الآخرة.

أتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان والتقدير الى الأستاذ الفاضل قدوري الذي أشرف على هذا العمل وكان لي عونا ومرجعا ولم يبخل عليا بتوجيهاته القيمة والى أختي الحبيبة شهرزاد.

كما أتقدم بالشكر الى عمال المكتبة الجامعية لجامعة بلعباس جيلالي اليابس.

الى كل أساتذة قسم التاريخ جامعة سعيدة.

كما لا يفوتني أن أشكر أعضاء لجنة المناقشة الأساتذة المحترمين الذين واقفوا على مناقشة هذا العمل

إلى صديقتي وأختي نجاة بودينار التي رافقتني طوال مشواري الدراسي.

وأوجه الشكر الجزيل إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد.

ووفق الله الجميع....

قائمة الإختصارات و الرموز

الإختصار / الرمز	الدلالة
ص	الصفحة
تر	ترجمة
ت	تحقيق
ط	الطبعة
د.س	دون سنة
د.ط	دون طبعة
ج	الجزء

المقدمة

أنجبت بلاد الأندلس علماء وفقهاء كانوا بحق من أعظم علماء الإسلام وساهموا في تكوين المجتمع الأندلسي، سواء في مرحلة القوة أو الضعف، وكانت فئة العلماء والفقهاء المقوم الأساسي للبلاد الأندلسية حيث كان تأثيرهم يشمل جميع المجالات سواء الجانب السياسي أو العسكري أو الديني وحتى الحضاري.

فعلى أساس الوحدة المذهبية قامت الوحدة السياسية وعلى هذا الأساس أصبح للفقهاء دور مؤثر على كافة الأصعدة وخاصة فقهاء المالكية الذين حاولوا إقصاء كافة المذاهب الأخرى وكبح آرائهم مستفيدين في ذلك من الحظوة لدى العامة والسلطة الحاكمة ومع ذلك ظهر المذهب وافدا من المشرق اشتهر بتصانيفه العديدة وآرائه الفريدة إلى الأندلس مناقض لثوابت الفقه المالكي الأمر الذي قبل بالمثل من قبل فقهاء المالكية الذين لم يتوقفوا في تحذير الظاهرية وذلك يظهر جليا من خلال المناظرات العلمية الكثيرة التي دارت بين المذهبين سواء كانت أمام العامة أو السلطة الحاكمة.

وإن دراستنا لهذا الموضوع له أهمية خاصة على الصعيد السياسي والاجتماعي والفكري فقد حظي تاريخ المسلمين في الأندلس بأهمية كبيرة لدى العديد من الباحثين قديما وحديثا، لكن بعض الجوانب من تاريخها مازالت في حاجة إلى الدراسة كتأثير الفقهاء ومناظراتهم على الصعيد السياسي مثلا والاجتماعي وحتى الصعيد الفكري.

وعلى هذا الأساس فقد اخترنا السجالات الفقهية بين المالكية والظاهرية بالأندلس الباجي وابن حزم كنموذج لكل مذهب كدراسة لموضوعنا، ولمعرفة المناظرات التي دارت بينهما فإن الفترة التي عاشها سادها الاضطراب السياسي وذلك ناتج لاختلاط المسلمين بالنصارى واليهود من جهة ومن جهة اختلاط التيارات الفكرية الإسلامية فيما بينهم وهذا ما انعكس على الحياة الفكرية من التأليف والتدريس وتصنيف للعلوم.

ومن هنا تبرز الإشكالية الخاصة بالبحث وهي:

فيما تجلى الصراع المذهبي بين المالكية والظاهرية في الأندلس؟ وما موقف ملوك الطوائف منه؟ ومن هذه الإشكالية اندرجت التساؤلات التالية:

متى كان ظهور المناظرات في الأندلس؟ وما أسباب شيوعها في الغرب الإسلامي؟ وما ميز المناظرة التي جمعت بين الباجي وابن حزم؟ وإلى أي مدى كان تأثيرها على الحياة الثقافية؟

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التاريخي السردي لاستخراج وتحليل وقائع التاريخية لدراسة مختلف المناظرات ببلاد الأندلس. أما الخطة المنتهجة فهي كالتالي: وقد تضمنت على مقدمة وثلاث فصول وخاتمة، الفصل الأول خصصنا فيه الحديث عن المذهب المالكي والمذهب الظاهري من حيث دخولها إلى الأندلس وانتشارها بالإضافة إلى أهم فقهائهم وأعمالهم، أما الفصل الثاني فشمل نشأة المناظرات في الأندلس وقسمناه بدوره إلى ثلاثة أقسام أشرنا فيه إلى مفهوم ونشأة المناظرات عند المسلمين وتحدثنا أيضا على عوامل شيوع المناظرات في الأندلس سواء أكانت هذه العوامل داخلية او خارجية وأيضا ذكرنا أهم المناظرة التي جرت بين المالكية والظاهرية متمثلة في الباجي وابن حزم، أما الفصل الثالث فتناولنا فيه تأثير المناظرات على الحياة الثقافية والمجال الفكري وما شهده ضمن كتب ومؤلفات وتأثيرها فيه أيضا على القضاء والفتوى وأخيرا على الفقه والعلوم والدين، وختمنا البحث بخاتمة اشتملت على أهم نتائج المبحث وفوائده.

وإن لدراسة المناظرات في الأندلس تتطلب من الباحث العودة إلى مصادر متنوعة سواء كانت المصادر التاريخية أو الفقهية كون هذه الدراسة تتنوع بين هذه المصنفات وأهم مرجع اهتم بالمناظرات كتاب عبد المجيد تركي: المناظرات في أصول التشريع ومن هنا سنعرض أهم المصادر والمراجع التي استفدنا منها سنبدأ بالمصادر التي كانت معاصرة للأحداث أو القريبة منها وفق التسلسل الزمني.

أولا:

أ. **مؤلفات ابن حزم:** هو من فقهاء الموسوعيين الذين امتازوا بالدقة العلمية وكتبوا في العديد من جوانب العلم فضلا على أنه قد شارك في الأحداث السياسية ولهذا فإن مؤلفاته شاملة لكافة جوانب البحث ومن أبرز مؤلفاته رسائل ابن حزم التي حققها إحسان عباس واستعنا بالرسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء بإضافة كتابه جمهرة انساب العرب وخاصة في تناول العلوم الشرعية والحقيقية أن كتبه كان لها أهمية كبيرة كونها كانت المعاصرة للأحداث وقد تميزت كونه هو مؤلفها فمن خلاله وجدنا الوجه الآخر لفقهاء الفترة.

ب. **مؤلفات أبو الوليد باجي:**وهو من أشهر فقهاء عصره وأحد أقطاب المذهب المالكي في الأندلس ولهذا كانت الاستعانة بكتبه ضرورية من حيث البعد المذهبي وأيضا من حيث البعد الثقافي وقد اعتمدنا على كتابه الفصول في أحكام الأصول.

ثانيا:

- **كتب التراجم:**

كانت كتب التراجم العماد الرئيسي الذي قامت عليه الدراسة وعند تناولنا لازمنا أن نبدأ بكتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة الأعلام مذهب مالك للقاضي عياض (ت: 544هـ/1149م) وقد اعتمدنا عليه كثيرا لمختلف أجزائه وقد اختص لترجمة الفقهاء المالكية وأيضا على مالك بن أنس مؤسس المذهب بالإضافة تحدثه على انتشار المذهب في أنحاء الدول العربية فقد تنوعت وشملت جوانب عديدة لهذا كان من الضروري الاستفادة منه بالإضافة إلى كتاب تاريخ العلماء والرواة بالأندلس لعبد الله بن محمد الفرضي (ت:403هـ/1012م) وكتاب الصلة لخلف بن عبد الله (ت:578هـ/1128م) ابن شكوال وتكملة لكتاب الصلة لابن آبار مع أنها ترجمتها على منهج محدد في ترجمة مختصرة لصاحب الأمر.

ثالثا:

- **كتب النوازل والأحكام:**

وقد اعتمدنا على فتاوى البرزلي كونه أمدنا بمعلومات مهمة خاصة بالجانب الفتوى والمشاورة.

رابعا:

- **كتب التاريخ العام:**

كان اعتمادنا عليها محدود وذلك راجع إلى كونها تتحدث عن الأحداث السياسية وإن لم تكن فيها السياسة فقد احتوت على خير أكبر منها ومع ذلك أفادنا بعضها في موضوعنا ومن تلك المصادر: تاريخ افتتاح الأندلس كابن قوطية والمعجب في أخبار الأندلس والمغرب بمؤلفه ابن عذارى المراكشي الذي أشتمل على تاريخ الأندلس السياسي والاجتماعي وجاءت معلوماته مترتبة ترتيبا زمنيا.

خامسا:

- **كتب الجغرافيا:**

فقد أفادنا كثيرا مؤلفات الحميري محمد عبد المنعم خاصة الروض المعطار في أخبار الأقطار الذي يعد معجما جغرافيا وتاريخيا واسعا حيث يصف الأقطار ومميزاتها جغرافيا وأهم الوقائع التاريخية المتصلة بها وهو لهذا من أفضل المعاجم الجغرافيا وخاصة فيما يتعلق بالأندلس.

إن البحث في موضوع السجالات الفقهية في الأندلس بين مذهبين كان صعبا إذ حاول كل منهما فرض سيطرته وهيمنته من خلال فقهاءه، فليس بالأمر السهل والهين وخاصة أن ابن حزم لم يفصل بين مناظرته فوجدنا صعوبة في فصل موقف المالكية من موقف الباجي، وعن المذاهب الأخرى

أيضا فالمعروف عن ابن حزم خاصم الكل. وفي الكثير من الأحيان لم يتعرض لذكر اسم أو صاحب المذهب بالإضافة إلى القليل من إهتم لقضية مناظرة التي جرت بين الباجي وابن حزم فجل المراجع لم يتطرقوا إليه فقد اعتمدنا في معظم الوقت على المصادر والكتب والنوازل الفقهية وكانت قراءتها صعبة كونها تتطلب معارف مسبقة حتى يتسنى فهمها.

وبما أن موضوعنا كان صعب واستنباطي فقد حاولنا جهدنا للخروج بالمشروع متواضع يفتح المجال أمام الدارسين من بعدنا ونتمنى أن يكون بابا لمشاريع أخرى.

ومن هنا فما كان من خطأ أو تقصير في هذا الموضوع وهو كثير فهو منا وهي طبيعة نفسي ولا تزكيها وما كان صوابا وأظنه يسيرا فهو بفضل الله أولا وهو ولي التوفيق.

حاجي سعاد 2018/03/14

الفصل الأول

الحركة المذهبية في الأندلس

1- المذهب المالكي في الأندلس

2- المذهب الظاهري في الأندلس

أولا: المذهب المالكي

أ. دخوله إلى الأندلس:

اعتمدت الدولة الأموية في الأندلس على مذهب الأوزاعي؛[1] الذي كان مذهب أهل الشام فتنقل إلى الأندلس من خلال الجند، وظل هذا المذهب حتى بعد مجيء عبدالرحمان الداخل[2] إلى الأندلس وقد استمر هذا المذهب إلى غاية القرن الثاني للهجرة لكن لما اتجه عدد من الطلبة إلى المدينة المنورة لزيارة الكعبة فقد تعرفوا على أكبر علمائها فالتقوا هناك بإمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس، وقد ذكرت مصادر أن المذهب المالكي انتشر بالمغرب والأندلس ومالك على قيد الحياة.[3]

ففي عهد ولاية هشام بن عبد الرحمان،[4] (172هـ-180هـ، /788م-796م) ثاني أمراء الأمويين في الأندلس فقد استقضى أول ولايته خير القضاة وأعدلهم.

1-المذهب الأوزعي: نسبة إلى الإمام أوزاعي انتشر هذا المذهب في عهد عصر الولاة (**95-138**هـ)، وكانت الأندلس تابعة للسيادة الأموية، ولهذا من الطبيعي أن تتأثر بالمظاهر الحضارية جميعا ضمن ناحية دينية، اعتنق الأندلسيون في هذه الفترة المذهب أوزاعي (**88-157**هـ) الذي كان فيه مجاهدين يجاهدوا لصد غزوات العدو البيزنطي؛ ولهذا اهتم المذهب بالتشريعات الحربية وأحكام الجهاد، ينظر: ابن فرادي، تاريخ علماء الأندلس، دار المصرية، القاهرة، ط1، 1966، ص80.

2-عبد الرحمان الداخل: هو عبد الرحمان بن معاوية غبن أمير المؤمنين هشام بن عبد الله بن مروان معروف بالداخل (**113**هـ)، فر إلى الأندلس هاربا من العباسيين حيث نال في الأندلس ملكا أورثه عقبه حقه من الدهر ولم يكن تتويجه ومبايعته بإمارة في الأندلس نهاية متاعبه لا بداية عهد جديد من نضال وكفاح،ينظر:المقري،نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج**3**،دار صادر،بيروت، **1988**، ص **28**.

3-مصطفى هروس، المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الجري نشأة وخصائص، وزارة الأوقاف الإسلامية، دار البيضاء، ط**1**، **1997**، ص **37**.

4-هشام بن عبد الرحمان: هو هشام بن عبد الرحمان بن معاوية بن عبد الله، عهد إليه الحكم وهو في عمر السادس والعشرين ونصب أمير لقرطبة في صفر **180**هـ، **796**م، وعرف عنه أنه كان شجاعا شديد الحزم ماضي العزم، حاول في بداية عهده أن يمارس سياسة قوية اتجاه أخصامه النصارى في الشمال، ينظر: مراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ت صلاح الدين الهواري، مكتبة عصرية، بيروت، ط**1**، **2006**، ص **24**.

وفي فترته كثرت هجرات العلماء إلى المدينة ومكة المكرمة وقد اختلف العديد من المؤرخين على من هو أول من أدخل المذهب المالكي إلى الأندلس فهناك من يقول أن الغازي بن قيس هو الأول من أدخله إلى بلاد الأندلس في أيام عبد الرحمان بن معاوية وآخرون يدلون في موضع آخر أن زياد بن مثبوط رحل من مشرق بعد عام من ولاية هشام بن عبد الرحمان ولقي مالكا وهو أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس،[1] أما قاضي عياض له روايتين؛ الأولى أن زياد عبد الرحمان اللخمي هو أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس والثانية أن الغازي ابن قيس هو أولى منه بإدخال الموطأ إلى الأندلس،[2] وكلا الرأيين يحملان صدق فقد أدخل الموطأ إلى الأندلس على يد الغازي قبل التنقيح؛ قبل أن يكتمل كتابه الموطأ من قبل إمام الهجرة، أما زياد فقد أدخل الموطأ إلى الأندلس في صورته المكتملة بعد التنقيح والتهذيب.[3]

حتى الدراسات الحديثة كانت مع هذا الرأي كالحسين مؤنس مثلا يذكر أن زياد بن عبد الرحمان المعروف بالشبطون واحد من ثلاثة الذين ثبت أنهم أسسوا هذا المذهب المالكي بالأندلس الذي صار المذهب الرسمي وكان أولهم الغازي بن قيس وثانيهم زياد بن عبد الرحمان وثالثهم يحي بن الليث ورابعهم عبد الملك بن حبيب.[4]

ب.أسباب انتشار هذا المذهب بالأندلس:

1. عامل البيئة:

يمكن تفسير نشأة هذه المدرسة كونها ملائمة لطبيعة المغاربة لسهولتها وبساطتها، فالمذهب المالكي لا يستخدم الرأي والجدل بقدر ما يعتمد على النص والتنقل وأثر الرواية ولأنه عملي أكثر مما

1-ابن قوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ت إبراهيم أبياري، مؤسسة وطنية للكتاب، الجزائر،**1989**،ص **64**.

2-القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المشاكل لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، ج**3**، دار الفكر،ليبيا، دت، ص **117**.

3-المقري، مصدر سابق، ج**2**، ص **45**.

4-حسين مؤنس، فجر الأندلس، الشركة العربية، القاهرة، ط**3**، **1959**، ص **657**.

هو نظري ويستند على الواقع ويأخذ بالعرف والعادة وأهل المغرب عموما يتمسكون بالسنة والجماعة.[1]

2. شخصية مالك بن أنس:

هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن غيمان بن خيثل بن عمرو بن حارث، ولد سنة 93هـ، تربى ونشأ في بيت علم فقد كان جده من كبار العلماء التابعين الذين أخذوا عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وأبوه من رواة الحديث وأخوه من الطلبة المعروفين في المدينة كان يعتبر العلم كالدين فكان يقول يجب أن يحتاط بعلم وهو من قبيلة ذي الأصبح واشتهر بالموطأ.[2]

ويرجع اهتمام الأندلس بهذا المذهب إلى إلمام الإمام رحمه الله كونه أهل علم زمانه حيث أصبح مقصد لمختلف الأمصار المقنعين بأن مذهبه أولى بالاقتداء والإتباع فقد صح إلى علم الحديث علم الفقه وقد أثنوا عليه كبار المثقفين والفقهاء،[3] كما أثنى عليه محمد بن الحسن الشيابي بقوله: «أقمت عند مالك بن أنس وكان يقول أنه سمع منه أكثر من سبعمائة حديث وهذه من فضائله وغيرها من مميزات التي جعلت أهل المغرب والأندلس بخصوص يقتنعون برأيه ويتمسكون بمذهبه»،[4] ولقد أكرم الله تعالى الإمام بالعمر الطويل والصبر الجميل ولم تعجله المنية كما جلت بقية كبار الأئمة مما سمح له أن يستمر في أداء رسالته العلمية، ولعل أبرز الأسباب التي جعلت علماء الأندلس وعامتهم يتمسكون بهذا المذهب هو تمسك الإمام بأمور العقيدة واشتهاره بشدة تحريه في رواية الحديث وتوقف

1-عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة النهضة الشرق، القاهرة، ط**1**، **1990**، ص **80**؛ عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، دار المعرفة الجديدة، الرباط، ط**1**، **1993**، ص **36**.

2-الضبي، الملتمس في التاريخ رجال أهل الأندلس، ج**2**، دار الكتاب المصري، القاهرة، **1989**، ص239.

3-القاضي عياض، مصدر سابق، ج**1**، ص **153**.

4-مصطفى هروس، مرجع سابق، ص **63**.

في الفتوى والشورى واحتياطا مع بلوغه درجة الاجتهاد،[1] ولعل أبرز سبب أيضا هو انتماؤه إلى المدينة المنورة وذلك من خلال توجه الناس في المدينة على هذا الرجل زاد من الناس تعلقا به،[2] ويرجع أيضا إلى كون المذهب يعتمد على النصوص والحديث في استنباط الأحكام الشرعية على عكس الشافعية وهذا ما نسب البيئة المغاربية على إشباع مذهبه.[3]

ج. العمل التاريخي:

بدأ المذهب المالكي في التسرب إلى الأندلس في عصر الدولة الأموية وبالذات في عهد هشام بن عبد الرحمان بن معاوية وهو ما جعل الباحثين يفسرون ذلك برغبة الأمويين في الاستقلال عن الخلافة العباسية وعن الدولة الفاطمية التي تبنت المذهب الشيعي وفي هذا السياق قال قاضي عياض أن الأمير هشام لعب دورا هاما في إلزام الناس لمذهب الإمام مالك،[4] ولا ننكر أيضا دور المغرب لأن المعروف أن الإسلام والثقافة العربية امتدت إلى الأندلس عن طريق بلاد المغرب التي لعبت دورا عظيما في نشر الإسلام في تلك المنطقة منذ أن فتحها الولاة.[5]

د. دور المشرق الإسلامي في انتشار المذهب:

واصلت القوة الشيعية الانتشار مما أقلق القوة السنية نتفطن السلاجقة إلى أسلوب آخر في المقاومة وتجلى هذا في إنشاء مدارس النظامية من أجل تحطيم شوكة الشيعيين وإفشال مخططاتهم

1-محمد مختار محمد المامي، المذهب المالكي، مذكرة لنيل شهادة ماجستر، مركز للتراث والتاريخ، العين، ط**1**، **2001**، ص **30**.

2-القاضي عياض، مصدر سابق، ج**2**، ص **35**.

3-عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، مرجع سابق، ص **90**.

4-القاضي عياض، مصدر سابق، ج**3**، ص **118**.

5-سامية مصطفى مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، دراسات وبحوث العلوم الإنسانية، القاهرة، ط**1**، **2000**، ص **204**.

السياسية كما كان لهذه المدارس دور في إحياء مذهب أهل السنة ومن الطبيعي أن يصل تأثيره إلى المغرب والأندلس عن طريق التجارة العلمية التي يقوم بها العلماء؛[1] كأمثال محمد بن شريح الوعيني أو عبد الله الإشبيلي ومحمد بن عبد الله بن العربي الشيخ القاضي ومحمد بن أحمد بن عيمى بن منظور القيسي أبو عبد الله وأحمد بن سعيد بن حزم بن غالب أبو عمر بإضافة إلى حسين بن محمد بن فيره الصدفي أبو علي معروف ابن سكرة..... وغيرهم.[2]

هـ. دور الفقهاء في نشر وترسيخ المذهب:

لقد لعب علماء وفقهاء الأندلس القوة الدافعة المالكية وضمنت تطبيقه فتطبيقه كان الحدث العام وقد حصلت عليه هذه الطبقة عن طريق احتكاكها بالسلطة القضائية فضمنت نشره وترسيخه وأشهر هؤلاء:[3]

1-**محمد الغازي بن قيس الأموي (195-811هـ)**: من أهل قرطبة فقيه محدث رحل إلى المشرق وسمع من مالك الموطأ وشهده وهو يؤلفه وقيل أنه كان يحفظه ظاهر، وعاد إلى الأندلس بعلم عظيم وهو أول من أدخل إليها الموطأ.[4]

2-**أبو عبد الله زياد عبد الرحمان المعروف بالشبطون (193-809هـ)**: فقيه قرطبي مالكي أندلسي، تردد على الإمام مالك مرتين ولزم جامع قرطبة وتصدر الْقراء مذهب الإمام ونشر علمه الموطأ هو أول من أدخله إلى الأندلس مكتملا، ولاه الإمام مالك في فتوى الكتاب

1-سعد عبد الله صالع البشري، عصر الخلافة في الأندلس **312-322**هـ، مكتبة فهد الوطنية، **1998**، ص **94**.

2-محمد بن زين العابدين بن رشم، الكتب المشرقية والأصول النادرة في الأندلس، ط**1**، دار إبن حزم، بيروت، ص **13**.

3-محمد بن عبود، التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد ملوك الطوائف، ط**1**، معهد جامعي للبحث العلمي، الدار البيضاء، بيروت، ص **204**.

4-قاضي عياض، ج**3**، ص **114**، ابن حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ت محمود علي مكي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، **1993**، ص **221**.

معروف بسماع زياد ونظرا لمكانته العلمية وتقدير العامة له وأودعه أمير هشام القضاء بقرطبة فأبى هاربا فقال هشام: «ليت الناس كلها مثل زياد ثم أمنه فرجع إلى قرطبة»،[1] فلم يبقى مركز من مراكز الفكرية في المشرق إلا وطأ إليها الأندلسيون طلبا للعلم فيها فتتلمذوا على أكبر أساتذتها ورجعوا إبرازهم إلى الأندلس لنشر تعاليمهم.[2]

3-**عيسى بن دينار الغافقي (212-827هـ)**: رحل فسمع من ابن قاسم وصحبه وتفقه وعول عليه وانصرف إلى الأندلس، كان إماما فقيها على مذهب مالك، تفرغ للتدريس بالأندلس وله عشرون كتابا وله تأليف في الفقه يسمى «الهداية» يقول فيه ابن حزم أنه أرفع الكتب جمعت علة مذهب مالك وأجمعها للمعاني.[3]

4-**أبو محمد يحي بن يحي الليثي (234-849هـ)**: قرأ بقرطبة وسمع من زياد موطأ مالك ثم رحل فسمع من مالك وكان إمام يسميه عاقل الأندلس، فعاد إلى الأندلس بالعلم عزيز وانتهت إليه الرئاسة بالفقه في الأندلس به بعيسى بن دينار، وروي عنه خلق كثيرة فقد كان رجلا وقورا مشهور بالأمانة والدين وإماما معظما عند الأمراء لا يقطعون أمرا إلا بعد مشورته وخاصة ما يتعلق بالقضاء.[4]

5-**عبد الملك بن حبيب السلمي (238-852هـ)**: عالم الأندلس إمام في الفقه واللغة والحديث، تفقه في الأندلس وسمع من الغازي بن قيس وألف كثير من كتب في الفقه والأدب

1-نفسه، ص **116**.

2-يوسف أحمد يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الدمام، ط**1**، **2002**، ص **48**.

3-الحميدي، جدوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ت. محمد بشار عواد، دار الغرب بالإسلامي، تونس، ط**1**، **2008**، ص **433**.

4-العياض، مصدر سابق، ج**5**، ص **160**.

والتاريخ؛ منها كتابه الكبير المسمى «الواضحة في السنة والفقه»، قال ابن فرضي لم يؤلف مثلها وكتاب طبقات الفقهاء والتابعين.[1]

6-**أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي (254-868)**: قرطبي كان حافظا للمسائل جامعا لها عالما بالتوازن، ألف في فقهه كتبا كثيرة سميت «العتبة» وكان ذو وقار والسكينة.[2]

7-**أبو زكريا يحيى بن براهيم بن مزين (259-879)**: انتقل من طليطلة إلى قرطبة كان حافظا للموطأ كانوا جميع شيوخه يصفونه بالفضل والنزاهة والتدين والحفظ، وكان له عدة تأليفات «تفسير الموطأ» وكتاب «في تسمية رجاله» وكتاب علم الحديث وهو «المستقية في علل الموطأ» وكتاب «فضائل العلم» وكتاب «فضائل القرآن».[3]

8-**أبو إسماعيل يحيى بن إسحاق بن يحيى الليثي (303-935)**: من أهل قرطبة وألف كتب المبسوطة في اختلاف أصحاب مالك وأقواله وهي التي اختصرها محمد وعبد الله بن أيان بن أبي عيسى وقد مات هذا الأخير بالوباء.[4]

9-**أبو محمد قاسم بن أصبغ البياني القرطبي (340-951)**: من أهل قرطبة وكان له قدر عظيم وسمعه الناس ومالوا إليه وكان له عدة تأليفات ككتاب «المصنف»، ومنها غرائب حديث مالك ومسند الحديث مالك من رواية يحيى.[5]

1-القاضي عياض، مصدر سابق، ج**4**، ص **27**.

2-ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ت. شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، ط**4**، **2009**، ص **175**.

3-نفسه، ص **153**.

4-الحميدي، مصدر سابق، ص **238**.

5-قاضي عياض، المصدر السابق، ج**5**، ص **152**.

10- **أبو عبد الله محمد بن عمر لبابة (331-943)**: إمام فقيه قال عنه ابن حزم ما رأيت المالكي كتاب أنبل منه في جميع روايات المذهب وتأليفها وشرح مشتغلاتها.[1]

11- **أبو محمد عبد الله بن أبي دليم (351-962)**: فقيه ألف كتاب «الطبقات» ضمن روي عن مالك وأتباعهم ومن أهل أمصار.

12- **أبوبكر محمد بن يبقى بن زرب (381-991)**: قاضي في قرطبة فقيه حاذق، أحفظ أهل زمانه لمسائل المذهب وأفقههم به، ألف كتابه المشهور «الخصال».[2]

13- **أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين (339-1009)**: فقيه حافظ، كان من أرفع أهل وقته ألف عدة كتب منها: «المغبرة في اختصار المدون وشرح مشكلها» «التثقف في النكت منها» وكتاب «المنتخب في الأحكام».[3]

14- **أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (463-1071)**: عميد فقه إمام مالك بالأندلس له كتب كثيرة، التمهيد لما في الموطأ من معاني الرأي والآثار.[4]

أما دور السلطة فقد دعم هشام عبد الرحمان وابنه الحكم الفقهاء الذين عاصروهم وكانت لهم مكانة رفيعة في الدولة،[5] ولم ينقطع جيل المدرسة المالكية حتى بعد المحنة التي أصابت بلاد الأندلس حيث هجرها كثير من العلماء وتفرقوا في البلاد الإسلامية.[6]

1-ابن بشكوال، مصدر سابق، ص **153**.

2-ابن فرحون، مصدر سابق، ص **229**.

3-نفسه، ص **231**.

4-قاضي عياض، مصدر سابق، ج**8**، ص **127**، ابن ثكوال، الصلة، ت. إبراهيم أبياري، ج**1**، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط**1**، **1989**، ص **380**.

5-حسين مؤنس، شيوخ عصر الأندلس، دار الرشاد، القاهرة، **1998**، ص **19**.

6-صرموا رابح، منهج النقد في الفقه الإسلامي (المذهب المالكي أنموذجا)، مذكرة لنيل ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، شلف، 2005، ص **86**.

و. الإمام أبي الوليد باجي (403-474_1010-1081):

1. مولده ونسبه:

سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الباجي المالكي الحافظ من أهل قرطبة، سكن شرقي الأندلس أصله من بلطيموس ومولده في باجة.[1]

كان يكنى أبي وليد، ولد صبيحة يوم الثلاثاء في نصف من ذي القعدة منه ثلاثة وأربعمائة.[2]

2. رحلته العلمية:

رحل إلى المشرق سنة ستة وعشرون فأقام في مكة وحج فيها أربع مرات ثم رحل إلى بغداد فأقام فيها ثلاث أعوام يدرس الفقه ويكتب الحديث ولقي فيها جلة من الفقهاء كأبي طيب طاهر بن عبد الله رئيس شافعية والقاضي أبي عبد الله الحسن بن علي الصمري إمام الحنفية، وأقام أيضا في الموصول عاما كاملا ودامت رحلته ثلاثة عشر عاما فقد حصل علمه مع الفقر والحرمان.[3]

3. مكانته العلمية:

كان الإمام الذي تقتبس أنواره و تنتجع أنجاده و أغواره كان يمدح كثيرا حتى قيل عنه أنه بدر العلوم اللائح و قطارها الغادي الرائع و منيرها الذي يتجلى بهاليلها الأسحم[4].

1-الباجة قرية غرب الأندلس، ينظر: ابن شكوال، مصدر سابق، ص **318**.

2-أبو محمد الرشايطي وابن خراط الإشبيلي، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ط**1**، معهد التعاون، **1990**، ص **26**.

3-راغب سرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط/ مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، ط**1**، **2011**، ص **367**.

4- إبن سعيد، مصدر سابق ،ص 305

وقد أجمع العلماء على انه أحد أئمة المسلمين في المشرق و المغرب و قيل أنه ولي قضاء في حلب ، و قيل أيضا لما وصل الأندلس تولى ضرب ورق الذهب للغزل ويعقد الوثائق إلى أن إشتهر بتأليفه فعرف حقه وعظم جاهه وقرب من رؤسائه فكثر كسبه، وفي هذه الفترة عم الفساد في المجتمع الأندلسي لولا وجود طائفة تفرقت في الديار أمثال أبي وليد باجي وآخرون فرشوا من الماء العلم قلوب ميتة وعطروا الأنفس الأمة لكان لبدين قد اندثر مع إندثار الدول[1].

ومن تأليفه:

- فصول الأحكام وبيلن مامضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام.
- المنتقى شرح الموطأ.
- المختصر المختصر في مسائل المدونة.

أما الكتب الأصولية:

- ❖ إحكام الفصول في أحكام الأصول.
- ❖ كتاب حدود في المصطلحات واردة في كتب أصول الفقه.
- ❖ المناهج في ترتيب الحجاج، أصول على طريقة الجدلية.
- ❖ تحقيق(مذهب من أن النبي عليه الصلاة والسلام كتب.
- ❖ الكتاب المقتبس في علم مالك بن أنس.
- ❖ مسألة إختلاف الزوجين في صداق في فروع المالكية.[2]

1-إبن فرحون، مصدر سابق، ص200، محمد بن عبود، جوانب من واقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، المعهد الجامعي للبحث العلمي، تطوان، ط1، 1987م، ص181.

2- نفسه، ص201.

وقد عرف أيضا عليه أنه كان يدعوا بالعروى الوثقى وإعتصام بحبل الله ونهى عن التفرق و كان أول وصوله إلى الأندلس أنه مضى إلى كل ملوك أهل الجزيرة و دعاه إلى الوحدة و تصدى إلة متوكل بن أفطس [1] و كان ينظر عليه على أنه من أفذ العلماء و أبرز شخصيات التي وجدت في ذلك عصر [2] و نظرا لمستواه الرفيع و جهوده العلمية أدى إلى ترسيخ و إستمرار مذهب المالكي في الأندلس قرونا بالإضافة إلى فقهاء آخرين و دعم السلطة لهم[3]

ثانيا: نشأة المدرسة الظاهرية.

أ. أصول وأساس المدرسة الظاهرية:

1- نشأة المنهج الظاهري:[4]

نشئ هذا المذهب في بغداد في منتصف القرن الثالث هجري لإمامهم داود فهو يرون العمل بالقطعيات المتيقنات وترك الظنون والآراء والقطعيات، والقطعيان عندهم هي ما أجمعت عليه الأمة وصولا ينفي أبدا في إثبات الأدلة من السنة الثانية، فالشريعة عندهم ما أمر الله تعالى ورسوله فلا رأي ولا إعمال للعقل في حكم من أحكام الشرع، فليس في هذا الأخير قياس ولا استحسان ولا ذرائع ولا

1- سعد عبد الله بشري،الحياة العلمية لملوك عصر الطوائف،مذكرة لنيل شهادة دكتوراهمعهد البحوث العلمية ،رياض،ط1، 1975،ص110

2- يوسف أحمد دعوالة،بنو عباد في إشبيلية ، مذكرة ماجستير،جامعة الملك عبدالعزيز، الرياض،ط1، 1980، ص339

3- محمد عبود، مرجع سابق،ص131

4-**الظاهر**: لغة: هي الوضوح لقوله تعالى: « **وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ " سورة النور الآية 31، وقوله " إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ" سورة غافر الآية26**، أما عند المفسرون فيعنون **بالظاهر**: ما يتبادر إلى الأفهام من الألفاظ ونقيضه الباطن ومثل ما فعل الزركشي للظاهر من القرآن الكريم بقوله " **فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ" سورة الأنعام الآية 145**، على الجاهل وعلى الظالم فهو فيه أظهر وأغلب كقوله تعالى" **ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ " سورة الحج الآية 60**، ينظر الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ت.محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الجيل الفكري، بيروت، ط2، 1004 هـ، ص206.

مصالح مرسلة إلا إن لم يمن من النص فيأخذ الحكم باستصحاب الذي هو عندهم الإباحة الأصلية[1] كقوله تعالى:" **هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا** "[2] فينفيه للقياس بدعوى أنه يفتح باب الاجتهاد على مصراعيه، بينما يعتقد المخالفين لهم أنهم اخترعوا هذا المنهج ويخرجهم من كون العلماء، وهناك من يرى أنهم من علماء الأمة ويقبل اجتهادهم ، وقد اشتهر هذا المذهب واصبح رسميا في عهد يعقوب المنصور الموحدي (ت-595/580هـ الموافق 1200/1185م).[3]

- **مؤسس المذهب الإمام داود الأصفهاني:**

هو أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصفهاني ولد بالكوفة وتوفي ببغداد سنة 270هـ وتلقى العلم فيها على يد الشافعي وسمع كثير من أحاديثه، كان حافظا مجتهدا زاهدا كثير الورع وفصيحا سريع الاستدلال جريئا فيما يعتقد على أنه الحق لا يهاب في نطقه ولا يخشى الإثم، متواضع لا يتعالى على أحد يعلمه وهذا كله ساهم في نشر مذهبه ولكن بشكل محدود[4] أي بعدما وجدت مذاهب وتخريب وتجرد للحياء فبدأ الأخذ بالظاهر إمام الأصفهاني الذي كان مذهب أهل العراق بخرسان وأما عن انتشاره في الأندلس فيتفق معظم المصادر المغربية أن أول من أسس المذهب الظاهر بالأندلس، وعرف به ونقله الى المشرق هو عبد الله بن هلال بن يزيد بن عمران القيسي، أبو محمد الأندلسي من أهل قرطبة فقيه جليل كان مالكيا بحكم البيئة والنشأة لكنه ما لبث أن ذهب الى المشرق ودخل

1- أحمد بكير محمود، المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب، دار القنتة، بيروت، ط1، 1990م، ص...

2- سورة البقرة الآية 29.

3- أحمد شبشون، منزلة العلم والتعليم بالأندلس من خلال رسالة مراتب العلوم، ابن الحزم، مكتبة عبد العزيز، الرياض، ط1، 1996م، ص05.

4- أبي الفتح محمد عبد الكريم، الملل والنحل، ت.عبد العزيز لوكيل، ج2، مؤسسة حلبي، القاهرة ، 1919م، ص104.

العراق ولقى أن سليمان داوود ابن علي الأصفهاني تغيرت رؤيته فاجتهد في نشر المذهب إلا أن توفي سنة 272 هـ ولكن تلميذه بعده واصل مهمته **قاسم بن الأصبغ البياني المتوفي 330 هـ**[1].

أما المؤسس الثاني: هو المنذر ابن السعيد البلوطي الظاهري المتوفي 335هـ إذ كان عبد الله ابن القاسم لم يؤثر تأثيرا قويا لكن اعتبر السعيد البلوطي الذي كان قاضي الجماعة المدافع الحقيقي عن المذهب فقد كان عالما وأديبا وقد أثنى عليه ابن الحزم.[2]

أما المؤسس الثالث: مسعود ابن سليمان ابن مفلت شيخ ابن الحزم، المتوفي في سنة 426هـ وقد انقطعت سلسلة الظاهرية بعد المنذر البلوطي الى مجيء مسعود ابن سليمان المعروف بابن المفلت، وذلك راجع إلى عصر ابي العامر الذي كان مالكيا ولكن لما انقضى عصره وجاء عهد ابنه المنصور قد ظهر المذهب من جديد وكان ابن المفلت ملهف بنشر الظاهرية وجلس لتدريس هذا المذهب في مجلس الجامع بقرطبة مع تلميذه ابن الحزم وقد انحاز عليهما ابن القراميد ومنعهما من الفتوى إلا أن رغم هذا اضطهاد فإن المذهب تابع طريقه من خلال ابن الحزم.[3]

- **أصول المذهب الظاهري:**

إن الأصول لا يختلف عنها اثنان دليل لا يحتمل الا وجها واحد ومصادر الفقه عند الظاهرية أربعة تضمنت **القرآن والسنة أولا ثم الإجماع والدليل وأخيرا الاستصحاب.**

1- مسوسة فاطمة الزهراء، الحياة العلمية في عهد حكم المنتصر بالله، مذكرة لنيل شهادة ماجستر، جامعة تيارت، 2003م، ص91.

2-النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، لجنة احياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، ط5، 1983م، ص83: الحميدي، مصدر سابق، ط2، ص555.

3- محمد أبو زهرة، ابن الحزم حياته وعصره وأراؤه وغقهه، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1978م ، ص54.

- **أولا: القرآن.**

وهو المعجزة الكبرى التي تبثث به الرسالة المحمدية وتبتت هذه الرسالة، إنه من عند الله ومصدر المصادر كلها وأصل يستمد خصيته من نفسه دون سواه.[1]

وبيان القرآن يكون حسيا واضحا كقوله تعالى: " **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا** "[2] كما جاء مبينا الأحكام بنفسه (كأحكام النكاح والطلاق والمواريث)، وقد تبين لنا في عدة الأيات مقاصده وبيان غرضه كقوله تعالى: " وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا "[3] وقوله: " وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا "[4] فمقصده واضح والآية توضح نفسها بنفسها وعلى ذلك ينقسم القرآن من حيث البيان إلى ثلاثة.

1-قسم بيانه ذاته من غير حاجة إلى بيان، فبعض القصص القرآنية واضحة بنسبة حدوثها.

2-أما القسم الثاني: وهو يحتاج إلى بيان وبيانه في القرآن الكريم نفسه فهو ما ذكر مجملا في موضع وكيان بيانه في موضع آخر من القرآن كمثال ابن الحزم عن الطلاق، قال تعالى:" **لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً** "[5] وقد فسرت بعض ذلك الإجمال سورة الطلاق فبنيت وقت الطلاق فسرت بعضه سورة النساء.

3-القسم الثالث: هو ما كان مجملا وبينته السنة كالزكاة وردت في القرآن وبينتها السنة.[6]

1- المرجع السابق، ص275.

2- سورة النساء، الآية 82.

3-سورة الشمس، الآية 01.

4-سورة المرسلات، الآية 01.

5-سورة النساء، الآية 236.

6-ابن الحزم، الأحكام في أصول الحكام، ج 1، دار الإسلام، 2010م، ص70.

- **ثانيا: السنة**

فتعتبر مصدر ثاني للتشريع كما وضحت آيات التي وردت في القرآن الكريم كقوله تعالى:" **وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** "[1] فقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهية الزكاة ما هو بها دون ان يخرج من لفظة الزكاة شيئا وكذلك الحج والصلاة ذكرت مجملة وبينتها كقوله صلى الله عليه وسلم: " صلوا كما رأيتموني أصلي" كما قال عز وجل:" **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ** "[2] ففي القرآن كثير من مجمل الذي فسرته السنة، فمطلق قيدته والعام خصصته فقد كانت السنة النبوية شارحة للكتاب[3] والسنة عندهم تنقسم إلى ثلاثة:

4-**القسم الأول يتضمن القول:** فالقول عندهم هو الحديث منقول عن النبي مثل أحدايثه وهو اكثر ما في صحاح السنة من أقوال مروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

5-**أما القسم الثاني:** فتضمن أفعال الرسول ففرض على الناس اتباع وحيه وسنته كقوله تعالى: " **وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ** "[4] فقد كانت السنة والحديث مكانة كبيرة حتى قيل "إن معرفة الحديث وكتبه من مهام أهل الفضل، حفظ السنن في المعتقدات والأقوال والأفعال عظيم الدرجة عند الله سبحانه وتعال" فالسنة هي

1- سورة النحل، الآية 44.

2- سورة النور، الآية 62.

3- محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص291.

4- سورة البقرة، الآية 231.

الحجة في الدين لأنها صادرة عن وحي الله ويجب اتباعها[1] كقوله تعالى:" **وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ** "[2]

6-**ثالثا:** وهي تقرير أي أن يفعل أحد الصحابة فعلا فيقره النبي عليه الصلاة والسلام ومثال على ذلك ما فعله عمر ابن العاص عندما تيمم من الجنابة عندما وجد ماءا باردا لا يطيقه الجسم ولا نارا تدفئه، فتيمم.[3]

- **ثالثا: الإجماع.**

ويراد به ما كان في عهد الصحابة في إجماع في أمر ما ولم يرد لا في القرآن ولا في السنة والأمة بحاجة إليه كقوله تعالى:" **فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ** "[4] أي إعزموا وهو يعني إجماع الأمة من اولها إلى آخرها وذلك متمثل في الأمر الذي اتفق فيه الصحابة.

فما درك مختلفة في إدراك القرآن فبيان يختلف في الوضوح، فبعضه يكون جليا وبعضه يكون خفيا فيختلف الناس في فهمه، فيفهم بعضهم ويتأخر بعضهم عن فهمه كما قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: **"إلا أن يؤتي الله رجلا فاهما في دينه، وكما تعذر علي عمر رضي الله عليه فهم الآية، فمات وهو يقرأ أنه لم يفهمها، وفهمها غيره من الصحابة رضوان الله عنهم، والإجماع يتعبر ثالث مصادر الفقه الظاهري ولم يختلف في ذلك أحد كقوله تعالى:" أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ"**[5] وقد قالوا أنهم اتفقوا هم وأكثر المخالفين لهم على أن الإجماع من علماء أهل الإسلام وهو حجة وحق

1- عبد القادر بوحسون، الأندلس في عهد بني الأحمر، الدراسة التاريخية والثقافية (635-879هـ/1238-1492م)، أطروحة دكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2013م، ص171.

2- سورة الشورى، الآية 52.

3-ابن الحزم، مصدر سابق، ص71.

4-سورة يونس، الآية 71.

5-سورة الشورى، الآية 13.

مقطوع به في دين الله عز وجل[1] كقوله:" **وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ**".[2]

وكلام ابن الحزم في الإجماع يدور حول ثلاثة أقطاب:

أولا حقيقة البيان ثم الأصل الذي انعقد عليه الإجماع وهو يسمى بالعرف أو سند الإجماع والامر الثالث عصر الإجماع، أما حقيقة الإجماع فإنه قد بينه بالتقسيم مصادر الشريعة وأحكامها فيقول: "إن أحكام الدين لا تخالف على أحد وعلى ذلك فإن الإجماع في حقيقته هو ما نقلته الامة عصر بعد عصر كالإيمان وأصل الصلوات المفروضة وأوقاتها وعدد ركعاتها والصيام وشهره ووقته، الحج وقته وأركانه[3] وتليها ما نقل نقلا متواترا بكثير من السنن وثالثا ما نقلته الثقة عن الثقة ومنه ما أجمع عليه الصحابة إجماعا صحيحا لأنهم شهدوا الوحي والتقوا عمن نزل عليه الوحي فكل إجماع لابد أن ينشق مما نزل في عهد الرسول، قال تعالى:" **ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ** "[4] وإلا لم يكن الدين قد انتهى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كما أخبرنا به الله سبحانه وتعالى.

فقد أراد ابن الحزم أن يجعل المسلمين كلهم على رأي واحد في فروعهم وأصولهم[5] فإجماع ما بعد الصحابة على امر اختلف فيه الصحابة فهو باطل، وإذ حصر غير الصحابة أمر ليس في إمكان إما الصحابة في حصرهم في إمكان قوله صلى الله عليه وسلم:" لا تجتمع الأمة على خطأ، ولا تجتمع الأمة على الظلالة"[6]

1- الشريف محمد المنتصر بالله الكتاني، الدولة الإسلامية في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2009، ص81.

2-سورة آل عمران، الآية 105.

3-أحمد بكير، مرجع سابق، ص51.

4-سورة المائدة، الآية 03.

5-إسماعيل علي محمد، مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية، إسطنبول، تركيا، ط 1، 2014، ص90.

6-أحمد بكير، مرجع سابق، ص63.

كقوله تعالى:" **وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ** "[1]

- **رابعا:الدليل.**

هذا هو المصدر الرابع من مصادر الاستنباط، وقد ادعى مخالفوه انهم انكروا القياس (الحجة الشرعية) ولكن تفريغ الأحكام أظهرهم لأن يثبتوا ما نفوه، وأسموه الدليل بدل القياس، ولكن الظاهر يبين لا يعترفون بذلك وينفونه ويبينون ان الدليل ليس خارجا على النصوص، كما بين ابن الحزم في كلامه على العلماء فقال:" ظن قوم يجهلون ان قولنا بالدليل خروج منا عن النص والإجماع وظن آخرون ان القياس والدليل واحد فأخطئوا في ظنهم أفحش الخطأ" ثم بين بعد ذلك أن الدليل هو امر مأخوذ من الإجماع أو النص فهو منهما مفهوم بعد دلالتهما[2] إذ يعتبر مصدر مستقل بذاته عن بقية المصادر الأخرى من حيث اسمه وعنوانه وأقسامه وخصائصه وقد قسم ابن الحزم إلى سبعة أقسام:

القسم الأول: هو أن يكون النص مشتملا على مقدمتين وتركت النتيجة ولم ينص عليها، فيكون استخراج النتيجة من مقدمتين وهو دليل كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" كل مسكر خمر وكل خمر حرام" فإن هاتين المقدمتان ينتج منهما حتما أن كل مسكر حرام فالمفهوم من النص تحريم كل مسكر.

القسم الثاني: هو تطبيق عموم فعل الشرط مثل قوله تعالى:" **إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ** "[3] فإن ذلك الشرط يفهم منه يغفر له الله سبحانه تعالى سواء أكانوا مشركين أو غيرهم وهذا أيضا مفهوم من اللفظ فهذا أيضا عندهم لا يعد قياسا ولكنه دلالة للفظ.[4]

1-سورة الأنفال، الآية 46.

2-نور الدين الخادمي، الدليل عند الظاهرية، دار ابن الحزم، تونس، ط 1، 1933م، ص10.

3-سورة الأنفال، الآية 38.

4-أبو زهرة، مرجع سابق، ص358.

القسم الثالث: هو أن يكون المعنى يدل عليه اللفظ متضمنا في ذاته نفس معنى الآخر لا يمكن أن يتلاءم مع المعنى الذي اشتمل عليه اللفظ مثل قوله تعالى:" **فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا** "[1] مع قوله تعالى:" **وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا** "[2] فإن الكلام يتضمن حتما النهي عن النهر ولا يعتبرون ذلك قياسا بل يعتبرونه دلالة اللفظ في ذاته.

القسم الرابع: وهو أن يكون الشيء غير منصوص على حكمه فيكون حكمه إثم إن فعل وإما أن يكون فرض بالنص فيكون إثم إن ترك.[3]

هذه الأقسام الأربعة من الدليل الموجودة من النصوص وهناك ثلاثة أخرى أشبه بما يؤخذ من البراهين المنطقية عند بيان وجه دلالتها ومن هذه ما سماه قضايا المستدرجة أين أن الدرجة العليا فوق التالية لها وهكذا مثل: أبو بكر أفضل من عمر وعمر أفضل من عثمان ....الخ.[4]

- **خامسا: الاستصحاب.**

لغة: يعني الملازمة والمقاربة.

أما اصطلاحا معناه أن ما ثبت في الزمن الماضي فالأصل بقاؤه في الزمن الحاضر والمستقبل، مأخوذ من المصاحبة وهو بقاء ذلك الأمر ما لم يوجد ما يغيره.

وهو استخدام ما كان ثابتا ونفي ما كان منفيا أي بقاء الحكم قائم نقيا حتى يقوم دليل على تغيير الحالة، فالاستدامة لا تحتاج لدليل إيجابي وبمقتضى هذا النظر كان لابد أن يعتمد الظاهرية على

1-سورة الإسراء، الآية 23.

2-سورة الإسراء، الآية 23.

3-أحمد بكير محمد، مرجع سابق، ص48.

4-أبو زهرة، مرجع سابق، ص360.

الاستصحاب[1] لأنهم قيد الاستدلال تقيدا شديدا، ولذلك اتجهوا إليه[2] وإن ابن حزم يبني الأصل في حكم باستصحاب على البديهيات الشرعية المقررة عند أهل الفقه جميعا، وإن كل شيء ثابت له لغة يحدث سببا لتغيير فهو لا يقبل حكما في مسألته. لا نقود ولا أدلة على من حفر حفرة وغطاها وحمل من لم يمر عليها ضمر أو على من قتل بالسم فكل شيء عنده يبقى على الأصل حتى يحكم بخلافة أو تتغير حالة بأن يتحول من وصف كان له حكم إلى وصف آخر له حكم آخر فيقرر أن من تبدل له الاسم فقد تبدل الحكم بلا شك فيدخل في عموم نص آخر إذ تغير الحكم بين اسمين وقد أخذ هذا أخيرا استصحاب في كل أحواله.[3]

ونختم الحديث عن الاستصحاب على أنه من مواقف الحيرة والتردد ويفتح لهم طرقا يصدرون بها الفتوى في يسر والفصل في القضايا بسرعة.[4]

7- انتشار المذهب الظاهري:

انتشر المذهب الظاهري في عهد مؤسسه، برغم المعارضة الشديدة لهذا المذهب وكان انتشاره بما قام به داود من كثرة التأليف، فقد ألف كتبا كلها سنن وآثار مشتملة على أدلة التي أثبت بها مذهبه ويمكن تلخيص عقيدتهم كما يلي:

8-أول ما يلزم كل أحد أن يعتقد بقلبه ويقول بلسانه غير شاك أن الله واحد ومحمد رسول الله.

9-وان الله إله كل شيء، وخالق كل شيء.

10- هو الله لا إله إلا هو، وإنه تعالى واحد لم يزل ولا يزال.

11- إن الله خلق كل شيء، لغير علة اوجبت عليه أن يخلق.

1-إسماعيل علي محمد، مرجع سابق، ص135.

2-أبو زهرة، مرجع سابق، ص368.

3-الشريف محمد المنتصر بالله الحوتاني، مرجع سابق، ص54.

4-إسماعيل علي محمد، المرجع نفسه، ص137.

12- إن النفس مخلوقة.

13- إن العرش مخلوق برهان لقوله تعالى: " **ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ** "[1] وكل ما كان مربوبا فهو مخلوق.

14- إن الله تعالى ليس كمثله شيء ولا يمتثل في صورة شيء مما خلق حيث قال تعالى:" **لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ** " ولو تمثل تعالى في صورة شيء عندهم لكانت تلك الصورة مثلا له.[2]

وبالرغم من اهتمام تلاميذه لنشر كتبه فإن عدم تبني السلطان للمذهب يعني عدم انتشاره ومما ساهم في اندثاره وبدأ يتلاشى المذهب بعد ذلك شيئا فشيئا أيام المنصور بسبب ما تظاهر به من إنكار لما كتبه ولكن ما إن ظهر القرن الخامس هجري وتهيئت ظروف بالظهور أبو خيار بن مفلت وتلميذه ابن حزم الأندلسي وباجتهاد هذا الأخير الذي وضع أصول ودونها في كتب عديدة تضمنت بجانبها دفاعه عن مذهبه.[3]

فبعد أن طمس هذا المذهب في المشرق حاول هذا الأخير أن يجعل له حياة وقياما في المغرب لكن لم يرج له كثيرا وخاصة عند محنته ولكن مع ذلك فقد أفاد هذا المذهب قائدة جليلة فقد تلقى عدد قليل أصوله ورغم أنهم كانوا صغار الطلبة إلا أنهم أغنى إخلاصهم عن الكثرة ولم يمت المذهب بموته فقد نشر علمه بالمشرق تلميذه الحميدي توفي سنة 420-488هـ كان مؤرخا حافظا لرواية وجمع بين الصحيحين، وهرب من الأندلس بعد وفاة الإمام ابن الحزم، فحتى بعد وفاته كان علمه منشور بين علماء ويقتبسون منه[4] ولكن مع أواخر القرن السادس هجري كان عصر ازدهار للعصر للمذهب

1-سورة طه، الآية 05.

2-أحمد بكر محمد، مرجع سابق، ص69.

3-حسين مؤنس، تاريخ الفكر الأندلسي، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، ط 1، 1955، ص440.

4-محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص518.

الظاهري، فقد عمم العمل به في المغرب وبلاد الاندلس كلها فقد تبثته الدولة الموحدية وترك المذهب المالكي وحرقت كتب مدونة الإمام سحنون، أو كتاب ابن يونس، ونواذر ابن أبي زيد والمختصرة والواضحة لابن حبيب وكل هذا التصنيف شهده الفقهاء في عهد أبي يوسف بن يعقوب المنصور ثالث الحكام الموحدين (600-651هـ/1162-1213م) وزمن حكمه تميز بعدم صحة الاعتقاد بعصمة ابن تومرت كما جالس الصلحاء والمحدثين وكان فاضلا، عادلا، متظهرا للقرآن كتاب الله تعالى بشرحه وناسخه ومنسوخه قارئا لنصه عالما بالحديث[1] وأعرض عن كتب المالكية، كما أحرقت في عهد ابن حزم الكتب الظاهرية وما كانت الأولى مبررة وكما كانت الثانية صائغة ولا مقبولة (إحراق كتب المالكية).[2]

فسعى إلى التغيير السياسي وأمر العلماء والمحدثين (**أبو يوسف يعقوب المنصور**) بجمع أحاديث من المصنفات العشرة (**هما الصحيحين، الترميدي، موطأ، سنن أبي داوود، سنن النسائي، سنن البزاز، مسند أبي شيبة، وسنن الأبهقي، وسنن الدراقطي**) وكان يجعل لمن حفظ أحاديث التي جمعها محمد ابن تومرت في طهارة وأراد أيضا أن ينشئ طبقة من طلبة العلم على منهاجه لكي لا يتم الإخلال في المنهاج وكان قصده محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث. إن هذا التضييق الذي فعل أبو يوسف وبعض حكام الموحدين جعل أسباب تفجير عدة ثورات داخلية[3] وقد يكون من أسباب انهيار الحكم الموحدي بإضافة إلى إعلان أنفسهم خلفاء وأهملوا الاعتراف الشكلي للعباسيين في بغداد وأخطروا الضعف، ضعف عانوه هو فقدان التأييد الشعبي وذلك لإقصائهم للفقهاء.

1-عبد الملك بن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ترجمة: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1964م، ص165.

2-علي محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، دار البيارق، عمان، ط1، ص159.

3-محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص520.

وبالإضافة لتأييد العامة للمرابطين الذين كانوا دعما لفقهاء مالكيين[1]، ثم في سنة 1223م تخلى على الأقل عضو واحد من الأسرة الحاكمة عن ولائه لتعاليم ابن تومرت وهكذا يمكن تصور الحال في صفوف العامة وكان هذا من أهم العوامل التي أدت إلى انحطاط الحكم الموحدي[2] وكان أيضا سببا في قيامهم فقد قامت دولة الموحدين على أساس محاربة تسلط الفقهاء وجمودهم العقلي ولم يدعوا الفرصة للعلماء وغيرهم من فرض نفوذهم.[3]

- **ثانيا: أشهر القضاة والفقهاء في الأندلس.**

لم تكن كتب داوود وحدها التي أبقت مذهبه، بل دعوة ولده أبو بكر محمد ابن داوود فقام على تلك التركة من علم السنة التي تركها أبوه فنشرها ودعا الناس إليها، وعلى ذلك انتشر القول بالظاهر في بلاد المشرق في القرنين الثالث والرابع وفي هذه الفترة كان مذهب السلطان، فقد ظهر فيه علماء أفداد أمدوا الفكر العلمي بعناصر قوية وفي الوقت الذي خبى فيه الضوء بالمشرق وحل محله مذهب حنبلي كان يحيى حياة قوية في الأندلس[4] ولذ من خلال الرحلات العلمية لعلماء قرطبة إلى بلاد المشرق ومن هؤلاء الثلاثة وإن لم يكونوا ظاهريين في أقوالهم، فقد كانت آرائهم تنحوا نحو الظاهر أو تمد الفكر الظاهري وأولئك هم **بقي بن مخلي** الذي رحل إلى المشرق وتعلم تعاليم إمام حنبل وكتب تفسير القرآن **وابن وضاح وقاسم ابن أصبغ.**[5]

1- علي محمد الصلابي، مرجع سابق، ص160.

2-مونت غمري وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة: محمد رضا المصري، شركة المطبوعات، بيروت، ط2، 1998م، ص120.

3-ناصر بن ميلود، الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين من 541-667هـ، مذكرة لنيل شهادة ماجستر في تاريخ المغرب الوسيط، جامعة آكلي محند أو الحاج، البويرة، 2005م، ص28.

4- أبو زهرة، مرجع سابق، ص262.

5-سلمى الخضراء الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، مركز دراسات الوحدة المرينية، بيروت، ط1، 1988م، ص252.

وقد كان اول من نشر مبادئ أهل الظاهر في الأندلس هو عبد الله محمد ابن القاسم ابن هلال توفي سنة 271هـ/885م، وكان من أوائل الظاهرين بين العامة وكان مالكيا ولكنه تتلمذ على داوود الأصفهاني مذهب ونسخ كتبه وأقبل بها إلى الأندلس وكان من العارفين بالمذهب الشافعي ولكنه انصرف إلى مذهب داوود واجتهد في نشره ويبدو أنه لم يوفق فيما رمي إليه[1]، أما أول ظاهري مدافع للمذهب هو **منذر بن سعيد بن عبد الله الرحمن البلوطي** (272-355هـ/886-966م) رحل إلى المشرق ودرس من شيوخه وعندما عاد إلى بلده، أنكر تقليد المالكيين واجتهدوا في إذاعة مبدأ دراسة الأصول كما قال مقري: "وكان منذر متيقنا في ضروب العلوم، وغلب عليه التفقه بمذهب أبي سليمان المعروف بالظاهر، أما طرق أهل طليطله فتحرير وثائقهم نجده في كتاب "**الوثائق المستعملة**" لأبي جعفر أحمد بن محمد بن مغيث الطليطلي متوفي 491هـ/1069م بينما كان الناس في الجزيرة الخضراء يتبعون نماذج الوثائق والشروط التي أوردها علي بن القاسم الصنهاجي المتوفى 584هـ/1189م في ديوانه وكان اول مرة فقيها ثم ولي قضاة بلده.[2]

فكانت الأندلس لا تخلوا من فقيه ظاهري في عصر من العصور وذلك لأثر ابن الحزم كالحافظ أبو الحطاب، مجد الدين بن عمر بن الحسن ويكنى أبو الخطاب بن دحية وقد طاف بأقاليم الأندلس كلها وتلقى العلم على شيوخها ثم انتقل إلى مصر بإضافة إلى أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي الذي أخذ عن الحميدي وانتصر له ودعا إليه في المشرق.[3]

وقد ظهر أيضا معاصرون تشبثوا بالمذهب الظاهري والمعروف من هؤلاء:

أبو عبد الله محمد بن علي بن يحي، قاضي الجماعة بمراكش، عبد المهيمن بن محمد الأشجعي البلذودي متوفى 697هـ/1297م وكان من مناظلي المذهب ويتعصب له بإضافة إلى محمد بن عمر

1-أبو زهرة، المرجع نفسه، ص265.

2-حسين مؤنس، مرجع سابق، ص444.

3-محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص159.

(ابن الرشد الفهري) كان شيخا على مذهب أهل الحديث، وقاضي أبي سعيد المريني قاضي الجماعة فقيه والمحدث، موسى بن البخاري والذي ألف (ضرة الحجال في أسماء الرجال) ويلحق بهؤلاء الستة أبو عبد الله الدكالي ثم أبو فحص الرجراجي كان من أهل الحديث بالإضافة إلى أبو زيد عبد الرحمن ابن علي بن عمر بن ععلي السلام المعافري المعروف بالوقاد كان فقيها وحافظا محدثا.[1]

وقد كان للظاهرية عدة مخالفين ورفضوا هذه المدرسة وكانوا معارضين لها كابن العربي مثلا فيقول عنها وعن ابن الحزم خاصة: "وكانت أول بدعة لقت في رحلتي القول بالباطل، فلما عدت وجدت بقول الظاهر قدم به إلى المغرب فكان سخيف في بادية إشبيلية ابن الحزم، نشأ وتعلق بالمذهب الشافعي ثم انتسب إلى داوود ثم خلع الكل واستقل بنفسه ورغم أنه إمام الأمة، يضع ويرفع ويحكم ويشرع، أإو ينسب إلى دين الله ما ليس فيه وقال عن الظاهري: "إنها أمة سخيفة تسولت على مرتبة ليست لها وتكلمت بكلام لم تفهمه[2] وكذلك بن عطيلة لا يرتضي مذهب داوود الظاهري ويرد رأيه وحجته ولا يقبل دليله ويرى أن رأيه خلف أي رديء ومخطئ ومخالف لرأي الأمة.

وكان ابن جزي أحيانا يرد على الظاهرية بعنف ويصفهم بجهل كلام العرب وعلاوة على ذلك نذكر أيضا القرطبي فكان أحيانا يرد على أقوال الظاهرية ويصف رأيهم بالشذوذ ويصفهم أحيانا بالتعسف في التأويل.[3]

1-محمد منوني، ورقات عن الحضارة المارينية، جامعة محمد الخامس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000م، ص408

2-عبد الله بن علي الزيدان، الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات،ج5، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1996م، ص208.

3-عبد الله ابن علي الزيدان، المرجع نفسه، ص210.

- **نشأته ونسبه:**

هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم المكنى بأبي محمد والمشهور بابن الحزم، فارسي الأصل الأندلسي ثم قرطبي كما اشتهر كثيرا بالظاهري، ولد في سنة 384هـ الموافق 994م في آخر ليلة من ليالي رمضان الموافق للسابع من نوفمبر من سنة 944م من أسرة تتمتع بثراء وجاه ومكانة عالية في المجتمع وقد كان أبوه أحمد بن سعيد أبو عمر عالما من أهل النثر والشعر وكان وزيرا للخليفة الأموي حاجب أبي عامر المنصور وأيضا عاصر ابنه مظفر ابن منصور[1] وبالرغم من نشأته في بيئة مترفة كان يقتنع بحجته يخافه خصومه لسلاسة لسانه وحدة قلمه كان يصف غيره بالإمام الأوحد البحر ذو الفنون والمعارف المتواضعة ذا الفضائل الرحمة زاهد في الدنيا بالإضافة إلى ذلك كان قوي النفس[2] وقد كان من معاصريه ابن حيان الذي يذكر على أن أسرة ابن حزم كانت إسبانية نصرانية، وأن جده هو اول من اعتنق الإسلام وهذا الرأي يحجب المستشرقين وعدد من الكتاب المعاصرين الذين تناولوا دراسة ابن حزم كما أن المؤرخين الآخرين عاصروه لم يشككوا في أصله فارسي ودخول أسرته إلى الأندلس كانت قادمة من المشرق كأمثال الحميدي وصاعد الطليطلي[3]،وقد مال هذا الأخير في أول وهلة إلى المذهب المالكي، بحكم أن أسرته كانت مالكية ثم اتجه إلى الشافعية وناضل عنه ثم عدل إلى قول أصحاب الظاهر وجادل عنه ووضع عنه كتب وثبت عليه[4]

1-ابن شكوال، مصدر سابق، ج2، ص207، الحميدي، مصدر سابق، ص448.

2-صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، المطبعة الكاثوليكية للآباء الياسوعيين، بيروت، ط1، 1916م، ص78.

3-محمد حسن قجة، المحطات الأندلسية، دراسات في تاريخ وأدب وفن الأندلسي، دار سعود، جدة، ط1، 1975م، ص133.

4-لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة،ت: عبد الله عنان، ج4، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1977، ص212.

- **أشهر شيوخ ابن الحزم:**

انصرف ابن الحزم للفقه وأعطاه عناية أكبر دون أن ينقطع عن أبواب العلم الأخرى فاتجه اولا إلى دراسة الفقه المالكي كونه المذهب الرسمي للأندلس ثم اتجه إلى المذهب الشافعي[1] ثم بعد ذلك تحول إلى القول بالظاهر رغبة منه في التحرر من سلطة المذاهب الفقهية وقد تتلمذ ابن الحزم على شريحة بارزة من شيوخ أثروا بشكل كبير في تكونه العلمي وهم:

1-**أبو علي الحسن علي الفاسي:** زاهد في الدنيا وكان رائدا في عصره وعالم وعامل.[2]

2-**أبو عمر أحمد بن محمد بن أحمد بن الجسور الأموي القرطبي:** اقدم شيخ لقيه ابن الحزم وتوفي سنة 401هـ/1110م.[3]

3-**أبو الحسن علي بن إبراهيم بن علي التبريزي:** المشهور بابن الخازن البغدادي وكان شافعي المذهب.[4]

4-**أبو بكر يحي بن عبد الرحمن بن مسعود القرطبي:** يعرف بابن وجه الجنة قال عنه الذهبي: "الشيخ الثقة المعمرة كان خير الدنيا"، وقد أخذ عنه ابن الحزم كثيرا.[5]

5-**عبد الرحمن عبد الله ابن عبد الرحمن بن حجاف المعافري البلنسي:** تولى القضاء ببلنسا وقد قال عنه ابن الحزم هو من أفضل القضاة دينا وعقلا.[6]

1-الذهبي، مصدر سابق، ج18، ص186.

2- نفسه، ص187.

3-الحميدي، مصدر سابق، ص158.

4-ابن شكوال، مصدر سابق، ج2، ص342.

5-الذهبي، مصدر سابق، ج17، ص204.

6- ابن شكوال، مصدر سابق، ص220.

6-**أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله طلمنكي:** المشهور بابن صفارفقيه حافظ توفي سنة 629هـ.[1]

7-**أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد المر النمري:** فقيه كانت تربطه مع ابن الحزم صداقة وثيقة وقد أخذ عنه ابن الحزم وأثنى على كتابه التمهيد.[2]

ثالثا: الإمام ابن الحزم (384-456هـ/944-1064م).

- **مكانته العلمية:**

يعتبر ابن الحزم من أعظم العلماء الذين أنجبتهم الأندلس فقد عال بعلمه ولم يعلى بنسبه وقد قبل عنه أجمع أهل الأندلس قاطبة العلوم الإسلام وأوسعهم معرفة، مع توسعه في علم اللسان والشعر والمعرفة بالسيل والأخبار[3] وكان له طراز خاص من مفكرين ونمطه كان فريدا من نوعه حتى عدت وحيدة قطره، كان حافظا للحديث فقيها أدبيا ومحدثا ومفسرا كان متكلما في المنطق والفلسفة والبيان وقد ألف في الطب والفلك ولم يكن بوسع المؤرخين أن يختلفوا حول ابن الحزم كونه أبرز مفكري الإسلام وتم التجميع بينهم كونهم أكثر العلماء تأليفا وتصنيفا في معظم الفنون والعلوم وقد اشتملت مؤلفاته على مجادلة أصحاب الملل والنحو كما نقد منطق أرسطو.[4]

كما تتسم مؤلفات ابن الحزم بخصائص جمة قد لا يضاهيه فيه إلا أفلاطون فقد أولى بسط في البيان وإشراقا في التعبير ونصاعة أسلوبه فتميز بالدقة لهذا اصطنع لنفسه منهاج منطقي مع التركيز على تحديد معاني وتقديم الحجج للعقول للبرهان على صحة قوله ومن أشهر مؤلفاته:

1-الذهبي، مصدر سابق، ج17، ص569.

2-الحميدي، مصدر سابق، ص544.

3-عبد الرحمن علي حجي، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، بيروت، ص415.

4-ابن سعيد، مصدر سابق، ص357.

- الأحكام في أصول الأحكام.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل.
- الرسائل: (طوق الحمامة في الألفة والآلاف، الأخلاق والسير، رسالة أمهات الخلفاء، رسالة نقاط العروس في تواريخ الخلفاء، رسالة في جمل فتوح الإسلام، رسالة أسماء الخلفاء، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها وأيضا رسالة في ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس.
- فصل في ذكر أوقات الحكام من بني إسرائيل.
- شذرات من روايات ناتجة.[1]

ونظرا لجهوده العلمية والسياسية فقد نال ثناء العلماء فقد كان زاهدا في دنياه ذا فضائل.[2] ومن خلال رسائله تتجلى أنه كان متأثرا بسقوط دولة بني أمية كغزارة تجربته التي مر بها الرجل خلال محن حياته المختلفة ونظرا لجهود العلمية والسياسية فقد نال ثناء العلماء فقد كان زاهدا في الدنيا بعد الرئاسة التي كانت له ولأبيه متواضع ذا فضائل جمة عرف بالظاهري ويعتبر من أهم وأكبر علماء الإسلام فهما وعلما وتصنيفا.[3]

إن الآراء والأفكار لا تنمو ولا تحيى إلا بتضحية صاحبها وقد عرف عن ابن الحزم أنه صاحب جدل ومناظرة وقد اصطدم مرارا بخصومه فقد كانت ردوده صاعقة فلا يكاد يسلم من لسانه أحد لكنه أسر وكان ذلك في منتصف سنة 609هـ ثم أطلق سراحه فعاد إلى قرطبة ثم تولى وزارة في أيام هشام المعتمد 618-622هـ وقد عاصر هذا الأخير ملوك الطوائف وهي في أوج اختلافها، وكان

1-ابن حزم، رسائل ابن حزم، ج4، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتعليم، بيروت، 1987م، ص05.

2-الحميدي، مصدر سابق، ص450.

3-عبد الله بن علي الزيدان، مرجع سابق، ص12.

يحمل عليهم ويحرض فقهاء ضدهم، ومن ثم أحرقت كتبه في اشبيلية من أمر معتضد بن عباد وأصعب ما يؤلم العالم أن يحرق عصارات جهده أمام أمة عينه.[1] فقد ظل موضع اضطهاد ومطاردة من طرف ملوك الطوائف وظل من بلد إلى بلد آخر وعن محنته قالوا:

تحفظ فإن الناس قد كثرت	***	***أقوالهم وأقاويل الورى محن***
فقلت هل عيبهم لي غير أنني لا	***	***أقوال بالرأي إذ في رأيهم فتن***
وإنني مولع بالنص لست إلى	***	***سواه أنعوا ولا نصره أهن***
ولا أثني المقاييس يقال بها	***	***في الدين بل حسب القرآن السنن***
يا بردة القول في قلبي وفي كبدي	***	***ويا سروري به لو أنهم فطنوا***
دعهم يعضوا على صم العصى كمدا	***	***من مات من قوله عندي له كفن***

وقد أوى أحمد بن رشيق الكاتب، أبو العباس، أبي حزم الأندلسي كما كان مضطهد وقد تناظر هو وأبي الوليد باجا في حمايته.[2]

فقد تعرضت عائلة ابن الحزم إلى المحنة السياسية أدت بهم إلى الخروج من قرطبة بعد هيمنة البربري عليه وذلك سنة 404هـ قاصدا ألميرية فاختلف مع حكامها في السجنة ثم توجه إلى بلنسية والتقى بالمرتضى الأموي وانضم عليه وتوجه معه إلى قرطبة لاستعادة الخلافة من الحموديين لكنه أسر في غرناطة سنة 408هـ ولم يستطع الرجوع إلى قرطبة إلا سنة 409هـ وتولى الوزارة هناك ولم يمر شهر حتى قتل مستظهر وسجن ابن حزم ثم عفي عنه ولما تولى هشام المعتمد ولى ابن الحزم الوزارة كذلك ولكن ترك العمل السياسي وتوجه إلى العمل العلمي والتأليف مما جعله يحتك لكثير من أهل عصره[3] وقد كان يوظف في مراكز حساسة وذلك لتفطنه واعتمد عليه الحكام في إخماد ثورات الأسر العربية ذات شأن في كل من اشبيلية وقرطبة فقد كان فاطنا حيث أشرك تلك الأسرة كلها في حكم تحت

1-راغب سرجاحي، مرجع سابق، ص340.

2-ابن الآبار، حلت سيراء،ت: حسين مؤنس، ج2، دار المعارف، القاهرة، 1980م، ط2، ص122.

3-ليث مسعود جاسم، ابن عبد البر وجهوده في التاريخ، دار الوفاء، المنصورة، ط2، 1988م، ص149.

إمرته ليضعها تحته ليخشى خطرها[1] وإضافة إلى حنكته السياسية كان مؤرخا وفقيها إلا أن موسوعته المعرفية بالفلسفة كان لا بأس به حيث نجده رتب كل العلوم تبعا لأجناس وخاصيات بعض المجتمعات بصور تتطابق والجدول (أنظر الملحق رقم 1).[2]

ولم تلبث طريقة ابن الحزم إلا أن أصبحت مذهبا قائما بذاته حل محل المذهب الظاهري وكون أتباعه فرقة عرفت "بالحزمية" كأمثال صاعد الطليطلي سنة 420-462هـ والفقيه عبد البر وغيرهم وقد انتقل مذهبه إلى المشرق ودعا بين أهله وأثني عليه أبو حامد الغزالي على بعض كتبه، أما في المغرب والأندلس فإننا نجد طائفة كبيرة من المؤلفين حملت مؤلفاته كما صدقت أيضا خصوم ومن بينهم أبو بكر ابن العربي كما وجد أيضا في مصر فقد اجتهد أحمد برهان (703-708هـ/1304-1405م) في إحياء معالم هذا المذهب كما أثنى عليه تقي الدين المقري (765-835هـ/1364-1442م).[3]

1-مصطفى شاكر ، الأندلس في تاريخ، منشورات الوزارة الثقافية، دمشق، ط1، 1990م، ص83.

2-سلمى خضراء، مرجع سابق، ص252.

3-حسين مؤنس، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 246.

الفصل الثاني

نشأة المناظرات في الأندلس

1-مفهوم ونشأة المناظرة عند المسلمين

2-عوامل شيوع المناظرات في الأندلس

3-مناظرة الباجي وابن حزم

- **أولا: مفهوم ونشأة المناظرة عند المسلمين.**

لقد جاء الإسلام بدعوة دين ودعوة حياة اجتماعية وسياسية واقتصادية وفكرية جديدة فلقد حمل العرب أعباء "دعوة ونشرها خارج شبه الجزيرة"، وتجاوزت الدعوة الدينية وإقامة دولة إسلامية خارج حدود الأرض العربية إلى ما وراء جبال زغروس شرقا، ومضيق الزقاق (جبل طارق) غربا، وانتقل الإسلام دون أن يرافقه حكم العرب المسلمين إلى أخطار أخرى متباعدة وامتزج تحت الحكم أفراد شعوب كثيرة واختلفت لغاتها وعاداتها وتقاليدها وتنوعت تقاليدها ولكنها جميعا ارتضت بغلبة اللغة العربية على إنتاجها الفكري سواء من المسلمين وغير المسلمين ونتج عن ذلك حاضرة خاصة ليست حضارة عربية خالصة، وليست حضارة إسلامية خالصة بل حضارة سادتها العروبة ولحمها الإسلام، تشوبها التأثيرات الفكرية والفنية والاجتماعية والاقتصادية الأخرى[1] وبانتقال الفتوحات انتقلت جوانب حضرية كانتقال الفقهاء وجلبوا معهم العلوم سواء أكانت عقلية أو نقلية فقد نشأة روابط بينها التي شكلت نقطة انطلاق في تطوير الثقافة الإسلامية والتعليم.[2]

1- أنور الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية العلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، دار الفكر، دمشق،ط3، 1995، ص12.

2- نايف أبو أكرم، المصادر التاريخية العربية في الأندلس، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1999، ص22.

أ. مفهوم المناظرات: عد فن البحث والمناظرة[1] من العلوم والمباحث العلمية التي اهتم بها علماء الإسلام قديما وحديثا، ودرسوها وتعمقوا فيها ومارسوها نظريا وعمليا بهدف صقل مواهبهم الفطرية وتوسع أفاقهم ومدار لهم العقلية والإقناع بآرائهم واجتهاداتهم واستنباطاتهم الفكرية.

ومن ثم فإن المناظرات لم تخلوا في أي عصر من العصور الإسلامية فكانت هذه الأخيرة تثري البحث العلمي وتكشف عن فكر علماء أجلاء وعباقرة أفداء يتناظرون في موضوع علمي دقيق وخاصة حول القضايا الدينية وإن من أبرز الميادين العلمية التي كانت مجالا للتناظر والتحاور بين علماء الإسلام ميدان التشريع الإسلامي، في أصوله وفروعه، وقواعده وأحكامه.

ودون هذا الفن في كتب الفلسفة، وكتب الملل والنحل وكتب الكلام، فقد طبعت مناظرات الفكر الإسلامي بطابعها وصيغتها العقلية.[2]

ب. نشأة المناظرات في العالم الإسلامي: وقد تزامنت نشأة المناظرة في مرحلة مترادفة مع نشوء علم الكلام وكانت أداته الرئيسية للنقاش، ثم ظهرت فئة من العلماء لم تؤيد المناظرات

1-المناظرة: لغة من نظر وهي مشتقة من النظير بمعنى الإبصار وهو مشترك بين المعنيين بين الحركات التخيلية وترتيب الأمور المعلومة، وهناك فرق بين المناظرة والجدل وتحدد اعتمادا على قصد المدافع، فإذا كان المدافع قصده الحق سميت مدافعته مناظرة وغن كان قصده إسكات الخصم سميت الجدل. وجاءت في لسان العرب أنّ: تناظر القوم في الأمر: تجادلوا وتراوضوا بالمثل، ونظر إليه: أبصره وتأمله، أما نظر له: رق له وأعانه.

أما اصطلاحا: فهي النظر بالبصيرة من جانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للضوء، ينظر الفراهيدي، كتاب العين ، ت.مهدي مخزومي وابراهيم السامراتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002، ص43.

2- عبد المجيد التركي، مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن الحزم والبابي، ت.عبد الصبور شاهين ومحمد عبد الحليم محمود، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986، ص33.

الكلامية لم تولد من الشخصيات وفتح باب النقاش في علم الفقه[1] حتى عدها البعض ضرورة لازمة لعلم الفقه فبواسطتها يتم التواصل إلى كثير من الأحكام الفقهية، غير أننا لم نجد من المؤرخين من اهتم بالتاريخ لهذه المناظرة، وربما كتاب تاريخ الجدل لأبي زهرة يعتبر الوحيد الذي اهتم بتاريخ هذا الفن، أما تاريخ هذا الفن بالأندلس والمغرب فقلما نجد مؤلفا اعتنى بهذا الفن.

والمناظرة هي علم الكلام الذي استحوذ من القرن الثاني على المادة العقلية الشعبية الفلسفية اليونانية والذي أخذه العرب عن الرومان تبعا لتعبير المستشرق الكبير جورج شاخت، وهي تلك الصفة ذاتها المتمثلة للبرهان مغرق ربي التبسيط ويرجع دائما إلى الفقه والذي يصدر عن التفسير الحرفي لبعض الآيات التي ذكرت كقوله تعالى: "**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ**".[2]

وتعد المناظرة من الأساليب الهامة في التدريس وذلك لما لها من دور في ترسيخ المعلومات وتمحيص الآراء والوصول إلى أصوب الآراء وأرجحها كما أنها من أهم الوسائل التي انتهجها أهل الفرق والمذاهب لنشر مبادئهم وآرائهم كما لها قواعد وآليات النظرية وأولها أن يكون طرفين متساويين ومتقاربين[3] في الدين والعقل والمعرفة وعمود المناظرة الرئيسي هو طرح الأسئلة وتلقي الإجابة عنها، بل

1- محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، مكتبة عبد الوكيل الدروبي، دمشق ، ط1، د.ت ، ص34.

2- سورة النحل، الآية 89.

3- حفيظ كعوان، أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بإفرقية من القرن (2-5هـ)، مذكرة ماجستير في"التاريخ الإسلامي"، جامعة باتنة، 2008، ص79.

هناك من أسماها علم المسالة والجواب على ذلك، وعند بدأ المناظرة يتفق الطرفان على اختيار أحدهما لطرح الأسئلة أي تحديد من يكون السائل ومن يكون المسئول.[1]

أما مضمون السؤال فيمكن تحديده بأربعة نقاط أساسية، الأولى توجيه سؤال مباشر وعام عن موضوع كأن يقول فيه السائل:" ما تقول في كذا" والثانية السؤال عند دليل الطرف الثاني(**المسئول**) بخصوص المسألة موضوع المناظرة فيحدد المسئول بإجابته، والثالثة السؤال عن وجه الدليل فيبينه المسئول وذلك إذا كان دليل غامض ويحتاج غلى توضيح. وأخيرا يكون السؤال لغاية الاعتراض على المسئول وإبطال ما جاء به، فعليه أن يبين في جوابه بطلان اعتراض السائل، وذلك بكثرة تقديم الأدلة مما يعزز موقفه ويقويه.[2]

وإذ كان فن المناظرة وآدابه قد عرف واشتهر في بلاد المشرق الإسلامي إلا أنه عرف واشتهر وازدهر كذلك في بلاد المغرب الإسلامي من المغرب والأندلس.

- **ثانيا: عوامل شيوع المناظرات بالأندلس.**

لقد شهدت الأندلس أوائل القرن الخامس حالة سياسية متردية حيث عم الفساد وذلك بفضل انتشار العصبية القبلية بين مسلمي الأندلس فكان المجتمع الأندلسي متعدد الأعراق (**العرب، البربر، الصقالية، المولودون والجوري، الرقيق**) كما وجد أيضا اليهود والنصارى وفي ضل هذه المرحلة والتي يسميها التاريخ بمرحلة الملوك فقد أرهقت الرعية بدفع الضرائب من طرف الولاة والأمراء لإنفاقها على مصالحهم الذاتية أو دفعها أتوات لملوك الفرنجة حتى يضمنوا أنفسهم في الحكم فاشتهرت هذه

1- علياء هاشم-دنون محمد المشهداني، فقهاء المالكية دراسة في علاقتهم العلمية في الأندلس والمغرب، أطروحة دكتوراه، مجلس الكلية الجامعية، الموصل، 2003، ص128.

2- المرجع نفسه، ص133.

المرحلة باللصوص فساد الركود في الحياة التجارية والصناعية مما تسبب في نكسة اجتماعية واقتصادية شديدة.[1]

لكن رغم أن الحياة الاجتماعية والاقتصادية كان وضعهما مزريا لكن بجانبها كان للحياة الفكرية صورة مغايرة فقد حضي هذا العصر بحصاد ثقافي لا يستهان به فقد ظهرت مكتبات وقد شهدت الأندلس حملة من التأليف في شتى التخصصات العلمية والأدبية، ولعل ما يميز مرحلة ملوك الطوائف أن أكابر ملوكها كانوا إما شعراء أو أدباء أو علماء حيث عمة أصولهم بالعلوم والآداب.[2]

فقد كانت الأندلس عامة وقرطبة خاصة مهدا وملجئ لحكماء ومعقل العلماء أمثال: ابن حزم(456هـ) وابن عبد البر(463هـ) والباجي(474هـ) وابن حيان(469هـ) والبكري(487هـ) وتلميذ ابن حزم الحميدي (488هـ) وابن رشيق(456هـ) وابن زيدون(463هـ) وابن الفرضي(406هـ) وابن دراج القسطالي وغيرهم.... الخ

أما في العلوم الطبيعية والرياضيات والطبية فقد اشتهرت أل زهر وأبي قاسم الزهراوي (403هـ) والزرقالي، ومسلم ابن أحمد المجريطي (394هـ) الذي لقب بإقليدس الاندلس كما أن الحركة الفكرية نشطة في الأندلس خاصة في ظل رحالات وادباء من المشرق لطلب العلم في جامعة الأندلس.[3]

لكن مع الأسف أن الفرق والمذاهب الكلامية والفلسفية كانت ناذرة الوجود إذ نميز منهما باعتبارهما كتب مخالفة للشرع ومعظمها قد أحرقت، فلم يدع الفقهاء مجالا لعلم الكلام والمنطق

1- ابن حزم، نقط عروس في تواريخ الخلفاء، تر.شوقي ضيف، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ط1، 1951م، ص84.

2- محمد عبد الله عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الختنجي، القاهرة، ط2، 1969م، ص434.

3- سعد عبد الله البشري، مرجع سابق، ص537.

والفلسفة وعلم التنجيم لكن مع ذلك برز أسماء في هذا العلم كمحمد بن عبد الله بن مسرة (931هـ) الذي خلط مذهب فلسفي بآراء صوفية وبأفكار المعتزلة وكان له أتباع وتلاميذ وقد أحرقت كتبه واتهم بالزندقة كما برزت أخرى من غير العرب والمسامين كاليهودي ابن التعريلية (495هـ) الذي رد عليه ابن حزم وابن جبريل وغيرهما.[1]

أما قرطبة فقد برز نجمها حتى قيل عنها:

أنظر لشمس الأفق طائرة*وقد ألقت على الصفح الخليج جناحا***

فاظفر بصفوة الأفق قبل غروبها*استنطلق المشفى وحث درجا***

متع جفونك في الحديقة قبل أن*يكسوا الظلام جمالها***

كما احتوت على أعظم مكتبة في ذلك العصر وقد روي أنه جرت مناظرة هناك بين ابن رشد وطبيب ابن زهرفقال ابن رشد في تفضيل قرطبة: "**ما أدري ما تقول غير إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه صلت إلى قرطبة حتى تباع فيها وإذا مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاتهصلت إلى إشبيلية**".[3]

ومن هنا فلم يكن لشيوع المناظرات من العبث بل بوجود عوامل متعددة ساعدت بنشوئها وقد تمثلت هذه العوامل في عوامل داخلية وعوامل خارجية.

1-صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، حياة العبد برعلوان، دار طليعة، بيروت، ط1، 1986م، ص89.

2-المقري، مصدر سابق، ص 305

3-نفسه، 306.

أولا: العوامل الداخلية:

أ- العامل السياسي:

وقعت الأندلس في فترة 127هـ تحت حكم عبد الرحمن الفهري الذي عمل على إخماد الثورات الداخلية بين العرب والبربر[1] وبينما هو يعمل على ذلك فإذا عبد الرحمن الداخل يدخل الأندلس في ترحاب كبير، فخشي يوسف الفهري فجهز جيشا وقابله في معركة خسرها يوسف الفهري وبذلك استتاب الحكم لعبد الرحمن الملقب بالداخل وبعدها عمل عبد الرحمن على إنجاز إمارته فاتخذ قرطبة مقر لها سنة 138هـ وبدأ في إنجاز المنجزات المعمارية، فاختط المدينة وبنى مساجد ونظم الجيش وشجع العلوم وظل الحكم بيده إلى أن توفي في سنة 172هـ[2] وبعده تولى أبناؤه وحفدته الحكم، فقد تولى هشام الحكم وسار على نهج أبيه ثم توفي سنة 180هـ وجاء بعده الحكم بين هشام الذي كان طموحا إلى قهر النصارى، وقد تم ذلك له فانتصر عليهم، وبقي في الحكم إلى أن أدركته المنية سنة 206هـ[3] وخلفه ابنه عبد الرحمن الثاني فأخمد بعض الثورات الداخلية كما اهتم بالثقافة والعلوم والفنون إلى أن توفي سنة 238هـ.[4]

1-عبد المجيد نعنعي، الدولة الأموية في الأندلس، التاريخ السياسي، دار مصرية، القاهرة، د. ط، 1966م، ص143..

2-نفسه، 168.

3-منى حسين محمود، المسلمون الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، دار الفكر العربي، القاهرة، د .ط، 1982م، 191.

4-رجب محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط1، 2008م، ص142.

وبعده تسلم الملك ابنه محمد، وبعد وفاته سنة 273هـ آل الحكم إلى ولديه المنذر وعيد الله اللذين لم يقوما بعمل يذكر في المجال السياسي، فقد شهد عهدهما ثورات متعددة أدت إلى تصدع الدولة الأموية بالأندلس.[1]

غير أن تولية عبد الرحمن الثالث لعبت دورا هاما فقد أخمد الثورات وعمل على رفع مستوى الثقافة بالأندلس وتشجيع رجاله وبعد ذلك أعلن نفسه خليفة المسلمين ناصر لدين الله سنة 318هـ وقد استمر عهده إلى 350هـ فقد شهد عصره عهود مزدهرة من الثقافة والسياسة وقد اعتنى بالمكتبات وأندية وأدب[2] وبوفاة حكم (المنتصر) من بعد سنة 350هـ وقد كان الحكم كأبيه محبا للعلم والثقافة[3] وبعد تولي ولده هشام الثاني (**المؤيد**) كان صغيرا،، الأمر الذي جعل السلطة تنتقل إلى أحد مربيه محمد بن أبي عامر الذي تلقب بالمنصور، وبمقتل أب العامر (393هـ) تولى ابنه مظفر عبد العزيز وبوفاته آلت الخلافة الأموية إلى أمراء ضعاف[4] وظل الأمر هكذا إلى سنة (422هـ/1031م) مما أسقط الدولة الأموية وتم عزل آخر خلفاءها هشام الثالث المعتمد بالله وإجلاء ما تبقى من قرطبة حيث يقول ابن خطيب: "**ومشى بريد في الأسواق والأرباض بأن لا يبقى أحد بالقرطبة من بني أمية، ولا يكفهم أحد**" ثم أعلن الوزير ابن جهور إنتهاء رسم الخلافة أن انقسمت الأندلس إلى دويلات صغيرة متنازعة واستقل كل أمير بناحيته، وأعلن نفسه ملكا عليها قد خلت البلاء في عصر جديد وهو عصر ملوك الطوائف.[5]

وقد انضوت هذه الدويلات تحت لواء ثلاث فرق أو طوائف:

1- مرجع سابق، ص143.

2-سعد عبد الله صالح البشري، مرجع سابق، ص71.

3- نفسه، ص73.

4-أحمد بن سودة، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار أمير للثقافة، بيروت، ط1، 1995م، ص219.

5-أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 2000،ص260.

- **طائفة الأندلسيين**: وشملت المماليك الآتية:

1. بنو قاسم في البونت[1] (400-495هـ/1001-1102م)

2. بنو حمود[2] في مالقة (407-449هـ/1016-1057م)

3. مملكة بني هود[3] بسرقسطة[4] (408-503هـ/1017-1110م)

4. مملكة بني عبد[5] بإشبيلية[6] (414-484هـ/1032-1091م)

5. دولة بني جهور[7] بقرطبة (422-463هـ/1031-1070م)[8]

1-البونت: قرية صغيرة من بلنسية مؤسسها عبد الله بن قاسم وعبد الله بن فتوح بن عبد الواحد، ينظر الحميري: روض معطار في أخيار أقطار، ت: بروفنصال، دار الجيل، بيروت، ط2، 1988م،ص56.

2-بنو حمود: هم من قبائل البربر ذو أصول عربية، أسسوا دولة بالمغرب (دولة الأدارسة) وعندما فتحت الأندلس 92هـ هاجر عديد منهم إليها فاتخذوا قرطبة عاصمة لهم ثم انتقلوا إلى مالقة، ينظر أحمد مختار العبادي: مرجع سابق، ص255.

3-بني هود: وتنتمي هذه المملكة إلى منذر بن يحيى التيجي واستولى عليها سليمان بين محمد بن هود، كان واليا على الإدارة وآلت إليه السلطة عام (431هـ/1039م) ينظر ابن عذارى: مصدر سابق، ج3، ص175.

4-سرقسطة: أو التغر الأعلى وتسمى أيضا بالمدينة البيضاء وتقع شرق الأندلس، ينظر الحميري: المصدر السابق، ص98.

5-ملكة بني عباد: مؤسسها هو أبو وليد إسماعيل ابن محمد بن عباد من ذرية عطاف وهو من قبيلة يمنية وقد كان إسماعيل قاضيا على إشبيلية وهو أول من تولى تسيير الشؤون أثناء الهشة والضعف وقد واصلت مملكة بني عباد ذروة لجدها في عهد معتمد بن عباد، ينظر ابن شكوال: صلة في تاريخ علماء الأندلس، 2003، ص97.

6-إشبيلية: مدينة بالأندلس بينهما وبين قرطبة ميسرة ثمانية أيام وتسمت أيضا بالمدينة المتبسطة، ينظر الحميري، مصدر سابق، ص80.

7-بني جهور: مؤسسها جهور بن محمد بن جهور بن عبد الملك ابن جهور بن عبد الله بن عبد الغافر ابن يوسف بن يخت بن أبي عبدة، وكان بمدخل جدهم أبي عبدة إلى الأندلس أثر عظيم، ينظر ابن عذارى المراكشي، بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3، دار الثقافة، بيروت، 1983م.

8-محمود مكي، تاريخ الأندلس السياسي، ج1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999م،ص100.

ثانيا: طائفة مماليك البربر: وقد ضمنت:

1. إمارة بنو خزرون[1] في أركش[2] (402-461هـ/1011-1068م)
2. مملكة بني زيري[3] في غرناطة[4] (403-483هـ/1021-1090م)
3. دولة بنو دمر[5] (403-458هـ/1012- 1066م)
4. بنو رزين[6] بشنمرية[7] (403-497هـ/1012-1104م)[8]

1- هم من بطون زناتة، إخوة بنو يفرن ومغراوة، وينتسبون جميعا جنا وموطنهم ملوية بالمغرب الأقصى وانخرطوا في الجيش الأموي عند دخولهم الأندلس واستعان بهم أبي عامر في دولته، ينظر: محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ص155، وابن عذارى، مصدر سابق، ج3، ص294.

2-مدينة تقع على وادي لكة، اشتهرت بالزيتون، ينظر الحميري: مصدر سابق، ص14.

3- مملكة بني زيري: نسبة إلى زيري بن عطية بن عبد الرحمن بن خزر، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي سلطان الأكبر، ت: أبو صيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان، ط1، 2007،ص1002.

4-غرناطة: تقع في الجزء الجنوبي بالأندلس ويمتد فيها نهر الوادي الكبير من الجنوب حتى شاطئ البحر الأبيض المتوسط ومضيق جبل طارق وتحدها من الشمال قرطبة، وإشبيلية ومن الشرق مرسية، ينظر الحميري: مصدر سابق، ص67.

5-بنو دمر: هم من بطون زناتة وكان موطنهم بإفريقية في نواحي طرابلس وجبالها، ينظر عبد الله عنان، مرجع سابق، ص154.

6-بنو رزين: قبيلة بربرية من قبيلة هوارة وجدهم ابن زين البرنسي، ينظر: ابن عذارى، مصدر سابق، ص208.

7-شنمرية: مدينة شرقية معروفة بصناعة التين والعنب، ينظر الحميري: مصدر سابق، ص114.

8-محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، الخانجي، القاهرة، ط1، 1988م، ص82.

5. دولة بني برزال[1] في قرمونة[2] (404-459هـ/1013-1067م)
6. بنويفرن[3] في رندة[4] (406-457هـ/1015-1065م)
7. بنو الأفطس[5] في بطليوس[6] (413-488هـ/1022-1095م)
8. نو ذي نون[7] في طليطلة[8] (428-478هـ/1036-1085م)[9]

1-بني برزال: ينتسبون إلى قبيلة زناتة وهم من خوارج إباضية ولعبوا دورا كبيرا أيام الخلافة الأموية وظلت دولتهم قائمة حتى استولى عليها بني ذي النون ثم آلت بعد ذلك لبني عباد، ينظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ت: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، 1962م،ص498.

2-قرمونة: مدينة واسعة قديمة البناء، أصلها لاتيني، وتقع في الشمال الشرقي لإشبيلية، ينظر الحميري: مصدر سابق، ص159.

3-بنو يفرن: بطن من بطون زناتة دخلوا إلى الأندلس سنة 347هـ واستقروا بها واشتغلوا في الجيش، ينظر ابن عذارى: مصدر سابق، ص280.

4-رندة: مدينة تقع في غرب مالقة (مدينة قديمة) ينظر الحميدي: مصدر سابق، ص79.

5-بنو الأفطس: من البربر استقروا بالأندلس فتأقلموا مع اهلها وبعد ذلك استولى الأفطس على سلطة وبدأ يمارس نفوذه كالملك، ينظر ابن عذارى: مصدر سابق، ج3، ص236.

6-بطليوس: تقع غرب مدينة قرطبة من إقليم ماردة بينهما أربعون ميلا، ينظر الحميري، مصدر سابق، ص47.

7-بنو ذي نون: من قبيلة بربرية برنسية من هوارة وبطونها كثيرا ومؤسسها هو إسماعيل بن ذي نون ينظر: ابن خلدون، مصدر سابق، ص1002.

8-طليطلة: مدينة قديمة كانت عاصمة للقوطيين قبل الفتح الإسلامي، ينظر الحميري، المصدر السابق، ص205.

9-عبد الواحد ذنون طه، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1، 2000، ص241.

ثالثا: الطائفة الثالثة: يمثلون الممالك التي حكمت شرق الأندلس حيث كان ألمرية[1] ومرسية[2] تحت حكم خيران العامري (405-415هـ) ثم آلت إلى زهير العامري.

وفي عام 425هـ/1033م انقسمت المدينتين:

أولا: الإمارة المرسية: من نصيب بني طاهر (425-471هـ)

ثانيا: إمارة ألمرية: بني صمادح (433-484هـ)

ثالثا: مملكة دانية والجزائر الشرقية (400هـ-484هـ).[3]

رغم هذا التفكك والانحلال والوضعية المزرية التي آلت إليها الأندلس إلا أنها لم تكن مانع لانتشار الثقافة والعلوم ففي ظل هؤلاء الملوك كانت كل حاضرة المركز الفني والثقافي وكانوا منافسين لبعضهم البعض[4]، كما اهتموا بالمناظرات لما لها أهمية في الحياة السياسية فقد خدمت أمراء مند عصور واتخذوها كالمعول لنصرة مذاهبهم وقضاياهم الفكرية كما شاركوا فيها وجلسوا لسماعها ونذكر منها: جلسة المنتصر بالله بن محمد بن إسحاق بن سليم لمناظرة الفقهاء حول التفسير والحديث.[5]

1- ألمرية: بنيت في عهد الناصر لدين الله سنة (344هـ/955م) واشتهرت بالصناعات والأنهار، ينظر الحميري: مصدر سابق، ص189.

2-مرسية: بناها عبد الرحمن بن حكم واتخذها دار للعمال، وتقع على نهر كبير وتشتهر بكثرة الأسواق والبساتين، ينظر الحميري: مصدر سابق، ص191.

3-سعد حومد، محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط2، 1988م، ص98.

4-عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب، الإسكندرية، 1985م، ص20.

5-النباهي، مصدر سابق، ص75.

ب- العامل الثقافي:

لقد ازدهرت الحياة الفكرية والدينية في الأندلس خلال القرنين الرابع والخامس هجري فساهمت في انتشار حركة التأليف فبالرغم من النكبات وعدم الاستقرار السياسي والاجتماعي إلا أن كان نتاجه واضح[1] في الإطار الفني فقد اختلف من منطقة أو من مملكة إلى أخرى.

فإشبيلية مثلا ذاع صيتها في عهد المعتمد بن عباد حتى صارت قبلة للفقهاء والشعراء.[2]

أما قرطبة فتراجعت مكانتها مقارنة بأهميتها التي كانت تحظى بها في عهد الخلافة فإنتاجها اندثر وصارت موطن اللصوص فهجرها العلماء لغياب الاستقرار والأمن وفقدت بذلك مكانتها العلمية.

وفي النصف الأول من القرن الخامس هجري أصبحت طليطلة مركز للعلوم فانتشرت بها مجالس أدبية وصار لها هيبة وزعامة على المماليك الأخرى.[3]

أما عن بطليوس فنافست إشبيلية على الزعامة الأدبية، وأسست لنفسها مملكة تفرض وجودها على غيرها.[4]

واهتمت سرقسطة بالآداب والفنون وأسسوا مجالس للغناء لمنافسة مماليك أخرى.

أما عن ألمرية فأبدع في مجالسها وتم تنظيم المناظرات فيها.

1-عبد الرحمن الحجي، مرجع سابق، ص411.

2-عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1972، ص102.

3-نفسه، ص108.

4-عبد العزيز سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعية، الإسكندرية، د.ت، ص18.

ورغم أن هذه المراكز كانت مهمة وادت إلى تفكك الدولة الواحدة إلا أنه في هذه المرحلة تعددت عواصم الثقافة، فرغم أن العامة لم تستفد من هذه الحركة وقد بقت في الإطار السلطوي إلا أن الثقافة الوحيدة التي تواجدت عند العامة في حماية الوطن وضرورة الدفاع عنه.[1]

إن ثراء الساحة العلمية بالأندلس أدى إلى انتشار طبقات اشتهرت بالعلم والثقافة ويقصد بها طبقة العلماء والفقهاء، وقد نشطت هذه الفئة الندوات والمناظرات في قصور الأمراء والملوك[2] وخاصة ملوك سرقسطة من أهل العلم حيث كان أن أمير المؤمن المقتدر بالله كان له كتاب "أسماه الاستكمال والمناظرة" فالعلم عنده له قدر كبير وذلك لقوله تعالى:" **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير** "[3] كما كان لصاحب ألمرية معتصم بن صمادح فقد كان يعقد المجالس بقصره للمذاكرة ويجلس كل جمعة للفقهاء فيتناظرون أمامه في مجالات عديدة: كالتفسير والحديث والفقه ....الخ[4]

ونظرا لهذا الازدهار وما تبعه من اختلاف العلماء وتباين آرائهم في تفسير بعض القضايا أدى إلى ظهور المذاهب الكلامية والفلسفية وحتى الفقهية فقد شهدت الأندلس في هذه الفترة عدة تيارات فاشترك فيها المسلمون واليهود والنصارى على اختلاف مذهبهم وهذا الاختلاف هو الذي ساهم في بلورة تاريخ المناظرات بالأندلس، فيقول ابن الحزم في هذا الميدان: "وأما علم الكلام فإن بلادنا وإن لم

1-محمد أبو الفضل، تاريخ مدينة ألمرية الأندلسية، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1996م، ط1، ص 192.

2-محمد علي مكي، مرجع سابق، ص97.

3-سورة المجادلة، الآية 11.

4-مريم قاسم طويل، المرية في عهد المعتصم بن صمادح، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، ط1، 1999م، ص123.

تتجاذب فيها الخصوم، ولا اختلاف فيها النحل" ثم قال مفتخرا بعلماء الظاهرية بالأندلس ثم قال عن الأشاعرة بأنهم كانوا ببغداد والبصرة، ثم قامت لهم سوق بصقلية والقيروان بالأندلس.[1]

ولم تعرف الأندلس خلافات كلامية مثلما عرفها المشرق ولذلك لم تنشأ فيها فرق الرجئة والجبرية والمعتزلة أو بالأحرى لم تجد أنصارا فيها[2] لكن رغم ذلك فإن المناظرات الكلامية بين الظاهرية الحزمية وخصومها أعطى دفعا عشوائيا لنمو علم الكلام فهذه المناظرات تعتمد على الجدل ليس بين المسلمين فحسب وإنما بين المسلمين وغيرهم من ذوي العقائد الأخرى، كاليهود والنصارى نتيجة لاتصالهم ببعضهم البعض[3] فتعددت مناظرات ابن حزم مع ابن تغريلة حولة لقطة أخت في الثورات وأيضا مناظرته مع ابنه يوسف بن نغريلة فقد ادعى هذا وألف كاتب حول "**تناقض كلام الله عز وجل في القرآن**" لكن أثبت ابن حزم أن ظنون هذا الفاسد باطلة[4] ولا تقل أيضا مناظرات المسلمين مع المسيحيين عن المناظرات الأخرى فبحكم تواجد المسيحيين بالأندلس والاختلافات العقائدية دعا إلى حملة من المناقشات العنيفة ومن هذه المناقشات "**معارضة نصراني لابن حزم**" فقد كان المسيحيين كالشوكة التي أقضت مضجع المسلمين في قلبهم وكان ابن حزم المنازع والمتصدي لحضارتهم وزيغها وكتبه واضحة مقصودة لرد الحق إلى أصحابه[5] وفي الأخير نستنتج أنه رغم التمزق السياسي الذي

1-سمير قدوري، الردود على ابن حزم بالأندلس والمغرب من خلال مؤلفات علماء المالكية، الرباط، المجلة المحمدية، ع، 13، 1964.

2-شوقي الضيف، عصر الدول والإمارات بالأندلس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1944م، ص120.

3-بن حزم، رسائل ابن الحزم الأندلسي، ت: إحسان عباس، دار النشار، بيروت، ط1، 1980م، ص23.

4-حسين الميمي، أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، ت: شادلي القبيسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م، ص111.

5-محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص16.

عصف بالأندلس أيام ملوك الطوائف إلا أننا نلاحظ نموا كبيرا للعلوم الدينية، لأنها العلوم الأكثر التصاقا بالعقيدة وساهموا كغيرهم في دعم المكتبة الإسلامية من كتب في الفقه والحديث والتفسير.

ثانيا: العوامل الخارجية.

أ- الرحلات العلمية:

الأمة التي تتسابق من أجل الحفاظ على العقيدة، هي الأمة التي تحمل عوامل الاستمرار مهما دمرت أو أحدقت بها الظروق السيئة فإيمان الأمة بعقيدتها والحفاظ على مقوماتها يكون باعثا لروح جديدة وحياة مشرقة.[1]

فقد تولد عن الاتصال والاحتكاك بين المشرق والمغرب ظهور الحضارة أو الثقافة المشرقية في الأندلس، فقد تزامن أواخر العصر الأموي وعهد ملوك الطوائف بالأندلس مع العصر العباسي بالمشرق وقد تم الاتصال بين حضارتين عن عدة مسالك:

أولا: عن طريق الرحلة العلمية التي نشطت من الأندلس الى المغرب.

ثانيا: عن طريق الكتب فقد دخل أنذاك عدد لا يستهان به الى الأندلس.

ثالثا: عند طريق الحجاج الذين يتوافدون من الأندلس إلى مكة ويجوبون في طريقهم دمشق وكل هذه العوامل ساعدت على تواجد ثقافة مشرقية بالأندلس.[2]

وقد استفاد المغرب الإسلامي من المشرق في كثير من الأمور وقد قلد المغاربة كثيرا المشارق خاصة في:

- تشجيع الأمراء للمناظرة والجلوس لسماعها.

1- عبد الرحمن الحجي، مرجع سابق، ص410.

2- محمد عبود، مرجع سابق، ص128.

- مشاركة الأمراء في بعض المناظرات.
- اتساع الحركة العلمية والفلسفية والكلامية بالمشرق شجع على انفتاحها بالمغرب.
- كثرة الفرق الإسلامية واختلافها العقائدي كان ابرز عامل لشيوع المناظرات.
- كثرة المذاهب الفقهية في الأندلس حيث كان مدعاة للتناظر (شافعية، الظاهرية).[1]

ت. التسامح الديني:

فبفضل هذا التسامح زاد انتشار وجهات النظر عن طريق المناظرات قفد شكل نوعا من التنشيط للحركة الثقافية في المشرق وخلق تفاعلا واضحا بين فئات المجتمع2 إضافة أيضا إلى دعوة النصوص القرآنية للتسامح **كقوله تعالى:" ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"[3] وقال عز وجل:" لَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"[4]**

ولهذا فليس غريبا أن تزداد المناظرة بهذا الخصوص وخاصة أن المغاربة لهم إعجاب بالثقافة المشرقية[5]ولا ننسى أيضا استفادة الفقهاء المغاربة بهذا الجانب كابن باجي مثلا في حضور مجالس تناظرية ببغداد، ومشاركته في المناظرات من جهة أخرى، وأثر الباجي في الأندلس أوسع وأعمق وتجلى ذلك خاصة في جدل أو مناظرة والعي لتركيز المذهب المالكي الذي يناوؤه أهل الظاهر.[6]

ولم تكن رحلة الأندلسيين إلى المشرق الطريق الوحيد لإغناء الأندلس بل كان للوفود المشرقية الوافدة على الأندلس دور فعال ولعل أيضا اهتمام بالكتب المشرقية العامة يعتبر من أهم المصادر

1- شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ط3، 2001م، ص457.
2- شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1981م، ص50.
3- سورة النحل، الآية 124.
4- سورة العنكبوت، الآية 45.
5-شوقي ضيف، مرجع نفسه، ص57.
6- رضوان الداية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1981، ص50.

إغناء الثقافة الإسلامية بالاندلس، فقد اعتنى الأمراء بإقتناء الكتب المشرقية وكان للحكم دور فعال في تنمية الثقافة والتشجيع عليها وكان نتيجة لذلك تألق في عاصمة كل مملكة من هذه المماليك الصغيرة جماعات فنية إذ يعتبر هذا العصر أزهى عصور الفن الأندلسي بالرغم من التدهور السياسي.[1]

ثالثا: مناظرة ابن وليد باجي وابن الحزم

ما عرف عن الحركة الفكرية في عصر ملوك الطوائف أنها اهتمت بجميع أصناف العلوم ما عدا الفلسفة التي كانت من العلوم الممقوتة طيلة تلك الفترة، حيث تعرض أصحاب هذا الفكر لاضطهاد والملاحقة بالإضافة إلى حرق الكتب، وقد استطعت بعض الحواضر استغلال التفكك السياسي وتبلورت عندها فكرة تنافس بينها وبين جارتها وذلك باستمالة أكبر عدد من العلماء قصد إنماء الثقافة على حساب بقية المماليك وهذا ما تجلى عند ابن الحزم بعد أن ضيق عليه الخناق، فاتجه إلى الميروقة[2] سنة 430هـ/1038م في عهد والي أحمد بن رشيق فأتيحت فرصة هناك له في نشر آرائه وفقهه[3] فلقد تعددت المناظرات التي خاضها ابن الحزم مع فقهاء المالكية، كمناظرته الليث بن خرفش العبدي المالكي في مجلس القاضي عبد الرحمن بن أحمد بن بشير، ولكن كل مناظرات التي خاضها هذا الأخير مع دعاة المذهب المالكي كانت في صالحه وذلك راجع لضعفهم في جدال فلم يكن بالأندلس أحد يجاري ابن حزم في العلم.[4]

1- رزقي نبيلة، الزخرفة في عمائر المغرب الأوسط والأندلس، القرن 7-8هـ/14/13م، رسالة دكتوراه في علم الآثار جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2014، ص70.

2- ميروقة: هي جزيرة شرق الأندلس في البحر الأبيض المتوسط وهي أكبر جزر البليار، ينظر الحميدي، مصدر سابق، ص188.

3- المقري، مصدر سابق، ج2، ص68

4- المقري، المرجع نفسه، ص77.

ومع ذلك تصدى له أبا الوليد بن البارية (أحد فقهاء المالكية) فدارت بينهما مناظرة في مجلس أحمد بن رشيق لكن لم يستطع ابن البارية من صمود أمام حجج الإمام الظاهري، فسجن ابن البارية من طرف ابن رشيق لعدة أيام ثم أطلق سراحه وانتهى أمر هذا الأخير بقضاء الحج ووافته المنية هناك وقد جاء بعد ابن بارية لمناظرة ابن حرزم بجزيرة مريوقة الفقيه أبو عبد الله بن عوف، إلا أنه أخفق كسابقه، فذاع هيب ابن حزم بجزيرة ميروقة وبدأ المذهب الظاهري بالانتشار في كل جزر بليار، وتكونت مدرسة لتعليم المذهب الظاهري يرأسها ابن حزم وظل هذا الأمر إلى أن قام أحد فقهاء ميروقة (محمد بن سعيد) بطلب المعونة من أبي الوليد باجي الذي كان قد حل ببلاط أمير دانية (علي بن مجاهر العام) وتقلد منصب القضاء فيها، وأول ما شهده ابن باجي في الأندلس بعد عودته من المشرق هو الشهرة الواسعة لابن حزم، كما لاحظ أن الآراء الفكرية قد غزت قلوب الناس، وذلك لما يملكه ابن حزم من قدرة وتمكن من استخدام طرق الجدل والمناظرة.[1]

نزل الامام الباجي عند رغبة الفقيه ابن سعيد رفقة أخية ابراهيم جزيرة ميروقة سنة 439هـ/1047م فوافق مجيئهة وفاة والي ميروقة أحمد بن رشيق الذي كان يساند ابن حزم على خصومه، ولكن قبل وفاته قد جمع بين ابن حزم وابن باجي مناظرة في منزله.[2]

لقد وجد الباجي في ابن الحزم منافسا عنيفا وبسبب هذا طالة الجالسات بينهما:

- **الجلسة الأولى**: حول دعوى الحمل الأمر على الفور.
- **الجلسة الثاني**: حول دعوى أقل الجمع الثلاثة.

1- ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ت.عبد السلام الهداس، ج3، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1995م، ص817.

2- المقري، مصدر سابق، ج2، ص77.

- **الجلسة الثالثة:** حول دعوى خطاب الذكور وخطابة الإناث.

- **الجلسة الرابعة:** حول دعوى دليل الخطاب.

وقد ارتأينا أخد الجلستين من الجلسات وهي الجلسة الثالثة تمحورت حول دعوى خطاب الذكور وخطابة الإناث والجلسة الرابعة حول دليل الخطاب.

أولا: جلسة حول دعوى خطاب الذكور وخطابة الإناث.

الأصل في خطاب الله أنه خطاب للجميع وخاصة عند ومروده بصيغة لفظ ذكورية لأن الشرع لازم للجميع ومن غير تمييز بين الرجل والمرأة ولك نورد في بعض الأحيان خاص للنساء وهذا ما كان موضع اختلاف بين ابن حزم والباجي.

فدعوة ابن حزم تدخل في أن خطاب الذكور يدخل فيه الرجال والنساء[1]

ليلة: أنه لا اختلاف بين المسلمين أن النساء مخاطبات لقوله تعالى:" **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** "[2]

أنه لا خلاف بين المسلمين أن النساء وكل بني آدم مخاطبين بقوله تعالى:" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ**"[3]

1-أبو وليد الباجي، إحكام الوصول في أحكام الوصول، ت: عبد المجيد يركي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص254.

2-سورة البقرة، الآية 110.

3-سورة لقمان، الآية33.

إن النبي صلى الله عليه وسلم، سأل عن أحب الناس إليه فقال "عائشة" ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس باللغة التي بعث بها، فحمل اللفظ على عمومه في دخول النساء مجموعة الرجال.[1]

ليس لخطاب الذكور خاصة لفظ مجرد اللغة العربية غير اللفظ الجامع لهم والإناث، ولفظ "افعلوا" يجمع المذكر والمؤنث لأن القرآن خطاب للجميع ولأن النبي صلى الله عليه وسلم مبعوث للجميع.[2]

أما دعوى الباجي: خطاب الذكور لا يدخل فيه الرجال والإناث.

دليل الباجي: للنساء أسماء تخصهن دون الرجال (**مسلمة، مسلمات**) فإذا كان ذلك كن مخصوصات بلفظ تأنيت والرجال مخصوصين بلفظ التذكير، ولذلك قال تعالى:" **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ** "[3] فخاطب كل فريق باللفظ الموضوع له.

أما الدليل الثاني: أن لفظ التذكير موضوع للمذكرة خاصة ولذلك قال أهل العربية أن الواو في الجمع تدل على خمسة أشياء سلامة ومن يعقل والرفع والتذكير.[4]

جواب ابن حزم: هذا الحديث غير صحيح، وروايته مرسلة لا تقوم بها الحجة فاعترض عليه جمهور المالكية: "إن خطاب الله ورد بلفظ يخص الرجال ولفظ يخص النساء.

فكان رده: أول هذا الخطاب وغيره بإرادة الله للتكرار والتوكيد "**فإنه بذلك لا ينكر التوكيد والتكرار**" ولا ينسى التناقض الذي وقع فيه المالكية وخالفوا بذلك مذهبهم في حمل خطاب الله على

1-ابن حزم، إحكام في فصول الأحكام، ص80.

2-نفسه، ص81.

3-سورة الأحزاب، الآية 35.

4-ابن الباجي، مصدر سابق، ص245.

الذكور دون الإناث، ثم يأتون بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم "**للرجل الوطيء في رمضان بالكفارة**" ، فقالوا واجب على المرأة من ذلك على رجل[1] إضافة إلى الجلسة الرابعة: **حول دعوى دليل الخطاب.**

تعريف الخطاب:

لغة: والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان.

اصطلاحا: هو القول الذي يفهم المخاطب منه شيئا.[2]

والخطاب ومراده يختلف باختلاف المذاهب وصاحبه فهناك من يشمل الخطاب عنده خطاب الشارع وخطاب الناس ومنهم من يقصره على أحدهما ومنه فإن:

- **الحنفية:** فعرفته على أنه صدر الشريعة بقوله "**هو أن يثبت الحكم في في المكوت عنه عللى خلاف ما ثبت في المنطوق**"

وقال ابن الهمام: "هو دلالته على نقيض حكم المنطوق للمسكوت"

- **عند المالكية:** عرفه القراضي وتبعه ابن جزي بأنه "إثبات نقيض حكم المنطوق به للسكوت عنه"

وقال ابن حاجب: هو أن يكون السكوت عنه مخالفا للمذكور في الحكم إثباتا أو نفيا".[3]

1-ابن حزم، مصدر سابق، ص76.

2- ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، ج2، دار الصادرة، بيروت، ط1، د.س، ص27.

3-ربيع لعور، موقف الإمام بني وليد الباجي من دليل الخطاب وأثره في اجتهاداته الفقهية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005، ص37.

- أما عند الشافعية: قل هو انتقاء حكم المنطوق به عما عداه.

وعرفه الجويني بأنه "ما يدل من جهة كونه مخصصا بالذكر على أن السكوت عنه مخالف للمخصص بالذكر".[1]

وعند الحنابلة: عرفه أبو يعلي بأن "السكوت عنه يخالف الحكم المنصوص عليه بظاهره.

وقال ابن قدامة: "ومعناه استدلال تخصيص الشيء بالذكر على بقية عما عداه.[2]

وعند الظاهرية: ومتمثلة في رأي ابن الحزم، فلم يقف عند التعريف ولكن في المجمل عنده، وهو ما ينسجم مع عدم اعتدادهم به، وغاية ما وقفت عليه هو ما نقلوه عن مخالفهم.[3]

أما موقف أبي وليد الباجي من تعريف دليل الخطاب:

لم ينفرد عن غيره من الأصوليين في تعريف دليل الخطاب باعتباره مركبا إضافيا أما اصطلاحا فقد أدلى في كتابه الإحكام أنه: "ما أصح أن يرشد إلى المطلوب وهو الدلالة والبرهان والحجة والسلطان.[4]

ومن هنا فإن الأصوليون قد تفرقوا إلى فريقين أول هذه الفرق قد اتجه إلى تحديد دليل الخطاب على أنه "هو المخالفة في حكم المنطوق للمسكوت وهذا موقف يمثله الأكثرية.

1-الجويني، البرهان في أصول الفقه، ت: عبد العظيم الديب، دار الإنصاف، القاهرة، ط1، 1400هـ، ص166.

2-ربيع لعور، مرجع سابق، ص39.

3-ابن الحزم، الإحكام في أصول الأحكام، ص323.

4-الباجي، مصدر سابق، ص176.

أما الموقف الثاني فقد يمثل: في أنهم قيدوا التعريف بتوضيح الباعث على بناء حكم المخالف عدم تحقيق القيد الذي ليس عليه الحكم في الأصل المنطوق به في الفرع السكوت عنه.

- **الاعتراض على الاستدلال بالكتاب:**

خصصت كتب المناظرة محاور مهمة للحديث على الكيفية التي يتم بها الاعتراض على الاستدلال بالكتاب وقد استقرينا في الاعتراض على الدلالة الأصولية على بعض أوجه القراءات، فلقد اختلف الأصوليين في أوجه القراءات مما أدى إلى انقسامها إلى قسمين:

أولا: الاختلاف على القراءة الأحادية: فالشافعية والمالكية والظاهرية مجمعون على عدم احتجاج بالقراءة الأحادية لأنها ليست قراءتنا، فلهذا لم يشترطوا التتابع في صيام كفارة اليمين كما لم يشترطوا قطع اليمين عند سرقة الأولى.[1]

أما الحنفية فتأخذ بقراءة الأحادية وتستخرج على ضوئها الأحكام، فتتابع شرط في كفارة اليمين قراءة "صيام ثلاث أيام متتابعة" وقطع اليمين شرط في سرقة.[2]

ثانيا: الاختلاف على القراءة المتواترة:

لم تكن القراءة الأحادية القراءة الوحيدة التي أثارت اختلافا بين الأصوليين بل القراءة المتوارثة هي أيضا بدورها ساهمت بقدر اتساع دلالتها في توسيع التناظر بين الفقهاء ومن هذه المناظرات تشير إلى:

1-الجويني، مصدر سابق، ص666.

2-نفسه، ص666.

- استدلال المالكية على وجوب الوضوء بلمس النساء على من استدل على وجوب قراءة قوله: " **أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ**".[1]

- واستدلالهم أيضا على عدم وطأ المرأة –وإن انقطع دمها– حتى تغتسل قراءة بالتشديد لقوله تعالى: " **وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْن** "[2]

- إن الباجي لم ينظر ابن حزم في القراءات المتواترة وذلك لأن ابن حزم قد اكتفى في دراسة للقراءات على نقص الدعوى: كالدعوة أن القرآن أخده عثمان رضي الله عنه بشهادة رجلين وشهادة واحد.[3]

الاعتراض على الاستدلال بالسنة.

- **مناظرة اختلاف الظاهرية والمالكية على شروط نقل الحديث:**

لقد اهتم ابن حزم مند وهلته الأولى من حياته على تعلم الحديث وسماعه فقد سمع الحديث من علماءه أفداد كأمثال: عبد الرحمن الأزدي (410هـ) وأحمد بن أحمد الجسور (401هـ) والهمداني ومحمد بن إسحاق وعبد الله الأزدي[4] وظل يهتم بالحديث حتى تألق حكمه وأصبح حافظا له كما قال الحميدي وبسبب هذا الاهتمام ظهرت عدة سمات منها ما اجتمعت مع مذهب المحدثين ما اختلفت مع مذهب الأصوليين.[5]

وقد ظهر لنا هذا الاختلاف جليا من خلال النقاط التالية:

1- سورة النساء، الآية 43.

2- سورة البقرة، الآية 220.

3- ابن الحزم، الأحكام في أصول الأحكام، ص83.

4-أبو زهرة، مرجع سابق، ص78.

5-الحميدي، مصدر سابق، ص450.

- الخبر المتواتر.
- شروط قبول الخبر.
- الإكثار من الرواية.

أولا: الخبر المتواتر:

إن دراسات الأصولية تختلف كليا عن دراسة المحدثين لهذا الخبر، فإن ابن حزم وإن تحدث عنه فلم يتحدث عنه إلا من جهتين: الأولى أفادته للقطع، والثانية عدد حد المتواتر[1] بينما عمق الأصوليين بحثهم ودراستهم بهذا الجانب فقسموا الخبر إلى المتواتر إلى شروط:

- أحدهما العقل وثانيهما الاضطرار إلى علم ما أخبروا عنه وثالثهما أن يبلغوا عدد حد التواتر.[2]

ثانيا: شروط قبول الخبر:

ويكمن اختلاف بين ابن حزم والباجي لقبول الخبر في:

أن ابن حزم: لا يقبل الأخبار التي لا تجمع فيها شروط الضبط والفقه والعدالة، ومن هنا يأتي رد الخبر المرسل لأن عنده لا يمكن معرفة حال الروي لا يمكنه من استبيان الشروط إلا إذا التزم بضوابط المحدثين وأحكام المحدثين، فمرسل الحديث إذا حكم عليه بأن حديثه ضعيف فلا داع الاستنباط منه.

أما الباجي: فيرى بإمكان استنباط الأحكام من النصوص الظنية ولذلك يقال الفقه الظني يعتمد على النصوص الظنية سواء من جهة الرواية أو جهة الدلالة، واشترط المالكية قبول بعض

1-ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج1، ص104.
2-ابن باجي، مصدر سابق، ص327.

الأخيار لمطابقتها بالعمل وهذا كذلك مما رده ابن حزم المحدث لأنه لم يشترط المحدثون أصحاب هذه الصيغة شيئا.[1]

ثالثا: الإكثار من الرواية:

دعوة الإكثار من الرواية وهي دعوة قد حمل لواءها مند القدم أنصار أهل الحديث زكان همهم الوحيد رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن نتائجه انقسامهم إلى قسمين:

- أصحاب الحديث الذين عابوا على أهل الرأي وانتقدوهم كونهم تركوا بعض الأحاديث لأقيستهم، بل عابوهم أنهم لا يعرفون السنن.
- أهل الرأي فينتقدونهم أصحاب الحديث في كونهم يجمعون الرواية وطرقها دون فقهها ولا يستخرجون ركزها.[2]

إن هدف ابن حزم من انتقاد الأصوليين هو إعطاء فسحة للظاهرية في مباحث الحديث فقد ضبطها بأساسيات:

أولها: رفض الترجيح.

فقد رفض ابن حزم الترجيح بناء على نفي التعارض بين النصوص التشريعية بين النصوص الصادرة عن الله تعالى:" **لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** "[3] وقد رفض ابن حزم إدعاء الباجي المبني على:

1-ابن حزم، مصدر سابق، ص138.

2-ولي الله الدهلوي، الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، ت: عبد القتاح أوغدة، دار النفائس، بيروت، ط3، 1986م، ص67.

3-سورة النساء، الآية 82.

- الأعدل يقدم على العدل.
- ترجيح الأخبار بالعمل.
- ترجيح الخبر المرسل بالخبر المسند.
- ترجيح الخبر بالقياس.[1]

ثانيا: الإيمان بالقطع.

فكما ادعى ابن حزم أيضا رفض الترجيح ادعى القطع، فالنصوص القرآنية قطعية، فلا داعي لبناء الشريعة على الظن، وكل ادعاء يشمل الظن فهو معارض في نظر ابن حزم ولهذا تعارض مع الباجي في المسائل: كالاستنباط من الحديث المرسل.[2]

ويرجع تمسك ابن حزم بالحديث إلى عدة أسباب منها ما هو موضوعي ومنها ما هو إديولوجي، فالجانب الموضوعي تمثل في اهتمامه بالسنة كمصدر ثاني للتشريع أما الثاني فتمثل في استغلال اتجاه المحدثين والحديث لمعارضة أهل الرأي وهكذا لم يكن اهتمام ابن حزم بالحديث، اهتماما بريئا بل كان يحمل خلفيات وأهم هذه الخلفيات وضع حد لأصحاب الرأي وخاصة المالكية في شخص الباجي بالأندلس.[3]

1- الباجي، مصدر سابق، ص487.

2- ابن حزم، مصدر سابق، ص125.

3-ولي الله الدهلوي، مصدر سابق، ص65.

الاعتراض على الاستدلال بالقياس:

لقد تطرقنا قبلا على اعتراض على دلالة الاستدلال بالكتاب واختصنا فيه على بعض قضايا تأويلية اللغوية وقضايا القراءات القرآنية بالإضافة إلى اعتراض على الاستدلال بالسنة النبوية وقد اختصصنا فيها باعتراض الحجية واعتراض على الدلالة أما فيما يخص القياس فقد درسنا فيه دراسة معمقة كونه راجع كمبحث اجتهادي ويشير لعدة اعتراضات.

لقد أعطى ابن حزم أولوية ظواهر النصوص وفي الوقت نفسه يقص رأي العامة من الأصول والقياس وندرك ذلك من خلال:

1. **نفي الاحتياط وقطع الذرائع والمشتبه:**

إن تمسك المالكية ببعض الأحكام المبنية على الاحتياط والخوف ولأن الأحكام هي المشتبهات ليس للمرء أن يتيقن من حلالها أو حرامها، ومن هنا فهذه الأمور في الحكم هي مباح لأنها لم تفصل على أنها حرام[1] كقوله تعالى:" **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا** ".[2]

2. **نفي الاستحسان والاستنباط والرأي:**

إن ما يجمع بين المصادر هو رجوعها إلى الرأي، فالمستحسن لا يستحسن إلا لاعتماده على واه وإتباع هوى الظلال، أما الاستنباط فيكسب مشروعيته من الرأي والقياس وعند ابن حزم فهو مذموم وذلك من خلال الأدلة التالية:

1-ابن حزم، مصدر سابق، ص53.

2-سورة البقرة، الآية 29.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **مَنْ قَالَ فِي القُرآنِ بِرأيِهِ ، فَلْيَتَبوأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** "[1]

وعن عمر رضي الله عنه قال: "يأيها الناس إن الرأي إنما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم مهيبا لأن الله عز وجل كان يريه وإنما هو منا للظن والتكلف"[2] وقال مالك ابن انس: "إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن"[3]

3. نفي التقليد:

كان رأي واعتقاد من دون النبي عليه الصلاة والسلام، يعتبر تقليدا، فاتباع الصحابة والتابعين يدخل في مفهوم التقليد، أما هدف ابن حزم ليس هذا التقليد أي تقليد الصحابة بل تقليد المالكية في أهل زمانهم.[4]

4. نفي القياس:

وحسب ابن حزم فإن ظهور القياس تزامن مع القرن الثاني للهجرة ويقصد ابن حزم في هذا التاريخ الانتشار، لأن قياس ظاهر من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكما أن الاشتغال بالقياس لم يكن مقصورا على النبي صلى الله عليه وسلم، بل كان للصحابة على اتصال وثيق بهذا المصدر، ولهذا فليس صحيحا أن يعتقد أن الصحابة كانوا مجمعين على نفي القياس، فمن ادعى إجماعهم على ترك العمل بالرأي والقياس فقط خلط[5] فكيف يصح هذا الإدعاء وعمر يقول: أقول في الجد برأي

1-ابن حزم، مصدر سابق، ص39.

2- ابن حزم، مصدر سابق، ج6، ص39.

3- نفسه، ص55.

4- نفسه، ص68.

5-الباجي، مصدر سابق، ص495.

وكان قبله أبوبكر يقول في كلامه "أقول فيها برأي وقد سار التابعون على سير أخلافهم فأخذوا بالقياس والرأي وهكذا حتى تسلم الفقهاء هذا المشغل وتمكنوا بالقياس والرأي".[1]

وكان مالك من فقهاء الدين اعتنوا بهذا الأصل وخرجوا على ضوئه بكثير من الأحكام وقد اعتبر كأمير مؤمنين في الرأي والآثار وعرف بالقياس[2] وحتى الشافعية نصت على القياس واعتبرته من الأصول ولكن مع ذلك فالظاهرية رفض القياس واعتبرته بدعة، فابن حزم وقف على ظاهريته وأبطل القياس بناء على:

- أن ليس في النص القرآني أو الحديث ما يفيد طرحه القياس.
- كما نعت القياس بالظنية ونعته بالخروج عن الدين كما وصفه بالتكلف والزيادة في الشريعة وذلك عنده كقوله تعالى:" **أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ** "[3] وأجمع على تصديق قوله تعالى في كمال الشريعة.[4]
- كما ادلى أيضا أن القياس تعد لحدود الله كقوله تعالى:" **وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فقدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**"[5] وكقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تغيروها ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها**".
- وأيضا قال القياس رد إلى غير الله ورسوله:

1-نفسه، ص496.

2-مصطفى هدوس، مرجع سابق، ص63.

3-سورة العنكبوت، الآية51.

4-ابن حزم، مصدر سابق، ص18.

5-سورة الطلاق، الآية 01.

قال تعالى:" **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ** "[1] كما أدلى أيضا أن القياس افتراء وكذب على الله والقياس فتنة.[2]

لم يسمع الباجي في هذا الاعتراض إلا أن يعكس استدلال الخصم وذلك أنه القياس من خصائص المباح وهو مقصود من قوله تعالى:" **وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ** "[3] وإن هذه الآية خير دليل شرعي فليس على الله الكذب.[4]

فبالإضافة إلى آيات أخرى التي كانت قاعدة أساسية للاستدلال على مصداقية القياس كقوله تعالى:" **فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ** "[5]. فقد انطلق الباجي ومعظم الأصوليين من هذا المنطلق واعتبروا هذه الآية أنها تدل على القياس فاعتبر عند أهل اللغة هو تمثيل الشيء بغيره وإجراء حكمه عليه ومساواته به وهذا التفسير ذهب إليه جل الفقهاء[6] غير أن الفقيه الظاهري قد رفض هذا التفسير واتهم القوم الذين يتبعون القياس بأنهم على خطأ وضلالة وذلك لقوله تعالى:" **إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ** "[7] فأبطل ابن حزم كل تسمية إلا تسمية قام بصحبتها البرهان أي من القرآن أو السنة وغير ذلك عنده باطل.[8]

وبناء على هذا التفسير يظهر اختلاف على المستوى التأويلي فالباجي يعطي أهمية للقياس أما ابن حزم يظهر اختلاف ولا يستحسن قط القياس لأنه يعترض على مصداقية الخبر بالقياس.

1-سورة النساء، الآية 59.

2-ابن حزم، مصدر سابق، ص20.

3-سورة النحل، الآية116.

4-الباجي، مصدر سابق، ص482.

5-سورة الحشر، الآية2.

6-عبد المجيد تركي، مصدر سابق، ص342.

7-سورة النجم، الآية23.

8-ابن حزم، مصدر سابق، ج7، ص75.

ليقدم الباجي دليلا آخر مواجها به ابن حزم وهو يعتمد على الآيتين أولهما:" **تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ** "[1]، " **مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ** ۚ "[2] فقد أدلى أنه قد كلفنا بتنفيذ الأحكام وأن كل هذا في الكتاب وأن الكتاب لا يخلوا منه لا تصريحا ولا استنباطا ولكن مع ذلك فقد اختلف الصحابة في عدة مسائل ولو نص عليها في الكتاب لما جاز أن يختلف هذا الاختلاف.[3]

ورغم هذا فقد رد عليه ابن حزم بأنها دلت على بساطة الإنسان فيما يتعلق بالنصوص، وقد تفاوت قدرات على تفهم الظروف وقد لا يواتي الخصب البناء.[4]

ومن هنا فإننا نرى أن ابن حزم يحاول أن يبني رفضه للقياس على أسس عقلية موضوعية فيستند إلى المنطق الإغريقي ويبين أن هذا المنطق قد يؤدي إلى نظرية بسيطة وصحيحة لبداهتها ويستخدم أيضا طريقة قلب الدليل، فهو يلفت النظر أيضا أن القياس الذي يأخذونه يهدم البساطة والوضوح وليس له أساس في نظره أي أن ليس في القرآن والسنة ما يدل على قياس.[5]

إننا في دراستنا هذه نستخلص أن الاعتراض على الدلالة القياس بين الفقهين أنهما كلاهما اعتمدا على هذا المبدأ ولكن اختلفا في استعمالهما.

وقد عملنا قدر المستطاع أن نجمع اعتراضات هذين الأخيرين لكن بصورة واضحة وبسيطة نوعا ما فقد استغنينا على بعض منها فقد استنبطنا ما كان أكثر جدلا بينهما، فقد ما يمكننا قوله في هذا الاعتراض أنه رغم نفي ابن حزم للقياس إلا أن دعته الظروف إلى الأخذ بالدليل والاستصحاب.

1-سورة النحل، الآية89.

2-سورة الأنعام، الآية38.

3-الباجي، مصدر سابق، ص553.

4-عبد المجيد تركي، مصدر سابق، ص351.

5-نفسه، ص359.

وفي الأخير فقد انتهت المناظرة لصالح الباجي لكن عقب انتهاء المناظرة بينهما فقال أبو الوليد: "تعذرني فإن أكثر مطالعتي كانت سراج الحراس فقال ابن الحزم: "تعذرني فإن أكثر مطالعتي كانت على مناظر الذهب والفضة، أراد أن الغنى أضيع لطلب العلم من الفقر فرد عليه أبو وليد أنه شرف أن يدرس ويتعلم على أضواء الحراس فبدأ المجلس بالتصفيق ولم يتركوا المجال لابن حزم بالرد فانزعج ابن حزم وغادر المجلس[1] وما إن خرج ابن حزم عن ميروقة حتى ازداد أدى فقهاء المالكية له وعلى الرغم من الاضطهاد الذي تعرض له على يد خصومه إلا أنه لم يتراجع عنه مذهبه، وظل عليه حتى وهو في المرحلة الأخيرة من حياته وظل المذهب رسخا في جزر بليار حتى بعد خروج ابن الحزم منها وقد أحرقت كتبه على يد ملك إشبيلية المعتصم بن عباد، كما حذر العامة من تداولها وقراءتها فقال ابن حزم أبياتا من الشعر يصف فيها حادثة إحراق كتبه:[2]

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي*تضمنه القرطاس بل هو في صدري*

يسير معي حيث استقلت ركائبي*وينزل إن أنزل ويدفن في قبري*

دعوني من إحراق رق وكاعد*وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري.*[3]

1-عبد المجيد التركي، مصدر سابق، ص64.

2-المقري مصدر سابق، ج3، ص79

3-المقري، مصدر سابق، ص82.

الفصل الثالث

أثر المناظرات في الأندلس على الحياة الثقافية

1-على المجال الفكري والسياسي

2-على القضاء والفتوى

3-على الفقه وعلوم الدين

أولا: المجال الفكري والسياسي

1- المجال الفكري:

إن المناظرات التي جرت بين الفقهاء كثيرة ولا يمكن حصرها واستقصائها فقد كانت تجري هذه المناظرات في مسائل الفقه وكانت تطول أحيانا فتنتج مؤلفات وتقتصر أحيانا فتتأتي في ورقة أو ورقات ذات عدد وذلك بحسب طبيعة المسألة المتناظر فيها ودرجة المتناظرين من حيث سعة علومهم وكثرة إطلاعهم وقوة أسلوبهم في المنافسة كالمناظرات بين ابن رشد[1] ومعاصريه في مسألة المفاضلة، وقد ذهب ابن رشد إلى تفضيل لا إله إلا الله بينما ذهب معاصريه إلى تفضيل الحمد لله[2] وكان يعقد هاته المجالس في بعض الأحيان في المساجد وفي بعض الأحيان في منازل الفقهاء لظروف خاصة أما عند انتهاء مجلس المناظرة فقد كان يختم بإلقاء درس وعظي ليستفيد منه العامة الحاضرين، ولكثرة تواليف بعض الفقهاء ومناظرتهم حتى أصبحوا قواعد الإسلام لا نظير لهم لنهم لم يكونوا يقلدون أحدا.[3]

- **حركة التأليف:**

لقد بدأت الحركة تأخذ طريقها بداية من النصف الأخير من القرن الثاني للهجرة وقد تنوعت وتعددت المؤلفات المباشرة وغير المباشرة[4] كما استمر التأليف في القرن الرابع هجري وقد برزت فيه أعمال الفقهاء ومن أبرزهم: **يحي بن إسحاق بن يحي الليثي**: (302هـ/915م) صاحب كتاب المبسوطة في اختلاف أصحاب مالك وأقواله فهو كتاب مشهور عده الكثير من أمهات الفقه المقارن

1-ابن رشد: هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي شيخ المالكية زعيم فقهاء وقته في أقطار الأندلس والمغرب عاش سبعين سنة ومات في ذي القعدة وكان حسن الخلق، ينظر: الذهبي، سير النبلاء، مصدر سابق، ج19، ص502

2-ابن رشد، فتاوى ابن رشد، مختار بن طاهر الدليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص226. جماري العبيدي، ابن رشد وعلوم الشريعة الإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1991، ص10.

3-ابن شكوال، مصدر سابق، ج1، ص120.

4-عمر الجيدي، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، منشورات عكاظ، الرباط، د.ط، 1987، ص66.

في المذهب المالكي الذي استطاع من خلال المؤلف أن يوازن بين أقواله المسائل التي طرحها الإمام مالك وتلاميذه.[1]

بالإضافة إلى أحمد بن عفيف أبو عمر القرطبي من أهل الأندلس سمع عن ابن قوطية وبرع في الفقه والوثائق ولم يكن في عصره أعلم منه بها وكان يعظ الناس في مجلسه وهو كان عالما بالشعر أيضا وله تأليف في علم الشروط وألف كتاب "المعلمين" وكتاب "الاختلاف في علماء الأندلس" وله كاتب أسماه كتاب "الجنائز" وله شعر حسن وتولى القضاء فحمدت سيرته وتوفي سنة 410هـ وغيرهم من فقهاء المالكية الذين كانوا عباقرة في زمانهم، كما كان هناك أيضا التأليف غير المباشر وهو استكمال تأليف الكتب بدا أصحابها بها ولم يتموها لسبب غالبا ما كان وفاة مؤلف أصلي فجاء بعده من حرص على إتمامه.[2]

بالإضافة إلى أحمد بن محمد بن أبي عبد الله بن أبي عيسى المعافري المكنى بأبي عمر الطلمنكي الذي سكن قرطبة ورحل إلى المشرق فجمع من أهل المشرق واستفاد منهم وله تأليف جليلة: ككتاب دليل المعرفة الجليل فيه مائة جزء وكتابه في تفسير القرآن وكتابه "فضائل مالك زرجال الموطأ" ورسالة في أصول الديانات إلى أهل لشبونة وغير ذلك من تأليفه وقد كانت له عناية كاملة بالحديث ونقله وروايته وضبطه حافظا للسنن[3] بالإضافة إلى مؤلفات ابن باجي وقد ظهر فقهاء من غير المالكية في تأليف مؤلفات من خلال المناظرات ومن أبرزهم ابن حزم الذي حرص كثيرا على تحديد معاني الحدود والألفاظ وتجنب الالتباس والمغالطة أثناء النقاش وليس هذا فحسب بل امتاز أسلوبه بالحرص على اختيار الموضوع الذي يريد البحث فيه وينتقي عناصره ويحدد جزئياته ويعين

1-ابن فرضي، المصدر السابق، ج2، ص232.

2-ابن فرحون، ط1، ص100.

3-ابن فرحون، مصدر سابق، ص102.

الخطة المنهجية بالدقة مبينا الغرض والهدف من تأليفه وكان رده لاذعا خاصة في المناقشة مع غير المسلمين والمنحرفين المنكرين للسنة كاليهودي ابن نغريلية.[1]

وقد انتقد أيضا المصنفين على أنهم لا يدركون حقيقة التأليف لكونهم يحلقون حول المعاني ولهذا السبب كان مستوعبا لما يكتب فقد حاصر موضوعاته برمتها في جزئياتها أو أبوابها.[2]

كما ظهر جليا اهتمام الأندلسيين بنظم الأدب والنثر والموشحات ولكن أكثر ما انصرفوا إليه هو الشعر وقد أثمروا عديدا من الأبيات حتى أصبح أهل الأندلس كلهم شعراء حتى قال قزوين "إن أرى فلاح يحرث بأثوار في شلب يرتجل ما شئت من الأشعار ما شئت من موضوعات" وقد قطع شعراء الأندلس طولا وعرضا يتجهون إلى قصور الأمراء حيث يظفرون بالمأوى والصلاة (ويحاضرون) ويحضرون مجالس أصحاب الأمر وتدرج أسماؤهم في سجلات دواوين وتخلع عليهم وظائف التدريس وقد تميز الشعراء أنهم كانوا يتغنون بمن يدفع أكثر ولمن يقدم رفاهية أعظم وتحول الفن الجميل والنبيل على هذه الفئة إلى سلعة تباع وتشترى.[3] وقد تناول هذا الأخير مواضيع مختلفة ولاسيما الغزل والمديح والوصف والشكوى والعتاب، وقد برزت عدة شخصيات كالأمراء مثلا فقد كان معظم الامراء شعراء كالمعتمد قاسم بن عباد أشهر ملوك طوائف الأندلس (631هـ) وتلقى دروسه في بلاط أبيه المعتضد الذي كان مقصد رجال العلم وبدأ حياته في السياسة أيضا ثم برزت أيضا مواهبه في الشعر سنة 688هـ توفي معتمد بن عباد وأنهى مسيرته نهائيا.[4]

1-ابن شكوال، مصدر سابق، ص319.

2-محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص114.

3-طاهر احمد مكي، الدراسات الأندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1987م، ص51.

4-مؤلف مجهول، قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم، الشعراء العرب وأدباؤهم العصر الأندلسي وعصر النهضة، ت: **Edito Crepsintitionel**، بيروت، د.ط، 1998، ص12.

2-المجال السياسي:

لقد كان إلى جانب الأمير دائما عددا كبيرا من الشيوخ ذوي العلم الواسع والمتين والدين القويم يسمون بالفقهاء المشاورون أي الذين يشاورهم الأمير في كبار شؤونه وخاصة الدينية منها وقد اتبع الفقهاء هذه الخطة لنهم كانوا يرفضون تولي القضاء أو الوظائف العامة مكثفين بالانصراف إلى العلم والتدريس وإفتاء للناس وحل مشاكلهم وكان هذا الموقف يرفع من مقامهم في أعين الناس.[1]

ولم يكن عزوفهم عن المناصب الرسمية تعبيرا لرفض الحكم أو السلطة بل كانوا يتبعون سياسة الإمام مالك وحتى أمراء استقاموا من هذا العزوف حيث اختاروهم في مجالسهم واعتبروهم كأهل للشورى لهم.[2]

وأول من اتبع هذا المنهج هو يحي بن يحي الليثي وهو ما كان يوصى باختيار الفقهاء المشاورون إلى هيئة تجتمع معا لاتخاذ القرار بل كان الأمير يستشيرهم وقد كان يرسل لهم قضايا في بيوتهم ليبدوا آرائهم فيها[3] وكان كبير المشاورين يسمى بشيخ الفتية أو شيخ المسلمين او رئيس البلد وكلها تسميات تدل على كبر المكانة التي كان يتمتع بها الفقهاء المشاورون في ذلك العصر ومناظرتهم كان لها شأن رفيع عند الأمراء[4] وقد كانوا من صغار فقهاء المرشحين للقضاء لأنهم عادة كانوا من كبار أهل العلم والفقه لأن الفقيه المشاور والمفتي كان شيئا واحدا وقد كان في معظم الأحيان عندما لا يتم رضاهم عن القاضي يعزل عادة إذ لم يرض الناس عنه لكن لم يكن لهم اختصاص في شؤون

1-المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وازدهارهم وعبادهم وتهاكهم ويسر من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ت:بشر بكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994، ص217.

2-حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، ج1، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، ط1، 1992، ص85.

3-حسين مؤنس، شيوخ العصر في الأندلس، ص30.

4-حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، ص86.

الدولة فلم يكونوا يناظرون في شؤون الدولة فلم يكونوا يتدخلون إلا في حال أن أراد الأمير أن يشاورهم في الأمر.[1]

ولكن لم يخلى من مواقفهم السياسية فقد كانت تطبع مواقفهم المرونة والواقعية وذلك تجلى في مسؤولياتهم الدينية والثقافية والتربوية وقد كانوا يصدرون فتواهم في مناظرات الرأي الأصلح والأصح للعام والخاص، فقد كانوا يبرزون لهم معتقداتهم ومواقفهم الدينية في إطار الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وقد كان موقف العلماء يختلف من واحد إلى آخر لكنهم كانوا يشتركون في مبادئ العامة المنبثقة عن الإسلام بينهم، أي من خلال مناظراتهم نرى وجود معتقدات مشتركة لكن لم يتفقوا على رسائل وخطط وطرق لتحقيق أهدافهم.[2]

ولعل الغرض من قيام الفقهاء في الأندلس هو إحاطة البيت الحاكم بسياج من أهل الدين والعلم والورع والمكانة عند الناس ليضمن شرعية الحكم في نظرهم.[3]

ثانيا: أثر المناظرات على القضاء والفتوى.

1. على القضاء:

القضاء في اللغة يطلق على معان متعددة لقوله تعالى:" **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** "[4] أي حكم وحتم.

والقضاء يأتي على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه وكل ما أحكم عمله، أو أتم أو ختم والحكم يأتي بصغر العلم والفقه، والقضاء والعدل وهو مصدر حكم يحكم.

1-حسين مؤنس، شيوخ عصر الأندلس، ص34.

2-محمد عبود، مرجع سابق، ص185.

3-حسين مؤنس، شيوخ عصر الأندلس، ص35.

4-سورة الإسراء، الآية 23.

أما اصطلاحا: فيعني فصل الخصومات والمنازعات عن طريق إلزام الخصوم بأحكام الشريعة من الكتاب والسنة والاجتهاد بطريقة معينة فهو إخبار عن الحكم الشرعي على طريقة الإلزام[1] ولمكانته العظيمة ومنزلته الشريفة كان للعرب في جاهليتهم أيضا فقد كانوا يختارون له أهله ويطلقون عليهم الحكام.[2]

وكانت الوظيفة الكبيرة في الأندلس تسمى بالخطة مثل خطة الوزارة مثلا، وقد كان القضاء من الخطط الكبرى في الأندلس وصاحبها كان يشبه الآن بوزير العدل فهو لا يتولى قضاء منطقة فقط بل يكون اختصاصه اختيار قضاة المدن الأخرى وينظر في شؤونهم ويراقب أعمالهم وكان بعد قاضي الجماعة الثالثة بعد الأمير والحاجب ولهذا كانوا يختارون القضاة بعناية شديدة وتدقيق بالغ.[3]

وقد تولى منصب قاضي الجماعة بالأندلس عدد كبير من الفقهاء فأقاموا العدل ودفعوا الظلم وثبتوا أركان الأمن في جميع أنحاء المجتمع كما شاركوا مناصب أخرى خاصة بالقضاء ومنها:

أ. **قضايا السوق أو الحسبة:** وقد كان بجانب وظيفة القضاء وظيفة الحسبة يناولها عالم وجيه فطن وكان يمر على السوق راكبا معه أعوانه فيزن السلع ويمتحن الأسعار وقد يرسل أيضا المحتسب إلى بائع من يمتحنه فإذا عهد عليه الخيانة ضرب أولا ثم حرس وغن لم ينفع معه ذلك نفي من البلد.[4]

ومن أبرز الفقهاء الذين تولوا ولاية السوق في الأندلس الفقيه: عيسى بن دينار وحسين بن عاصم بن مسلم بن كعب من قرطبة توفي سنة 180هـ وذكره عبد الملك بن حبيب في طبقة رجال الأندلس

1-سالم بن عبد الله خلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج1، مكتبة ملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 2003، ص629.

2-علي محمد الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين، مؤسسة إقرؤه، القاهرة، ط1، 2006، ص160.

3-حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، ص84.

4-النباهي، مصدر سابق، ص07.

وفقهائها وكانت له رحلة لقي فيها أصحاب مالك رحمه الله وقد قال سحنون "إن بن عاصم يحلف الناس بالطلاق فقال من أين اخذ هذا قال سحنون من قول مالك رحمه الله يحدث الناس فتحدث لهم أقضيته.[1]

ب. **قاضي الجند:** وقد كان بجانب وظيفة قضاء السوق والحسبة أيضا قاضي الجند فقد يختص في منازعات العسكر، وقد كان في معظم الأوقات يكون أمير الجيش هو القاضي.[2]

ج. **صاحب الشرطة:** وهي الولاية قائمة بذاتها في الأندلس وكانت جزء من ولاية الحسبة تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان صاحب هذه المهمة يعمل بأحكام الشرطة ولهذا عدت من خطط الحكم وتنقسم إلى الشرطة الصغرى والشرطة الكبرى.[3]

د. **خطة الرد:** وهي بمثابة المحكمة العليا أو محكمة التمييز وهي من الخطة التي ميزت بها الأندلس واختصاص صاحب الرد أن ينظر في أحكام القضاة أو يحكم فيها استرابه الحكم وردوده عن أنفسهم وكان يقوم بمثابة التفتيش على أحكام القضاة ويطالع الرعايا ويقف على أحوال الناس وأطلق على من يديرها وظيفة صاحب الرد وكان يجتهد صاحبها ويدرس المناظرات بشكل دقيق والمتزن ليجدهما هو الأصح والأدل والأعدل.[4]

ولعل العنصر الأساسي الذي كان يعتبر المحرك في القضاء أن كان يلزم للقاضي أن يكون مناظر مميز يعرف كيف يناظر ويفرض أحكام عن طريق أدلة وبراهين ملموسة فقد كانت المناظرة التي تتم في مجلسه هي حاسم في قضاياه وخاتمة لشكوكه ونقطة انتهاء للأصح والمظلوم.

1-مصطفى هروس، مرجع سابق، ص264.

2-النباهي، مصدر سابق، ص12.

3-ابن خلدون، المقدمة، ت: الوافي، دار النهضة، القاهرة، ط3، 2014م، ص222.

4-محمد الزحيلي، تاريخ القضاة في الإسلام، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1415هـ، ص131.

- **ثانيا: الفتوى.**

الفتوى هي تبليغ الحكم الشرعي عن الله عز وجل من طلبة دون أن يقترن بذلك التبليغ بإلزام ومن ينتصب للفتوى عليه أن يصل إلى كفاءة علمية معينة تؤهله لذلك كما كان المفتي أن يحصل على تأييد وموافقة كبار الفقهاء وأصحاب الكلمة المسموعة.[1]

اعتنى أهل الأندلس بالفتوى عناية شديدة لما لها من مصالح على المسلمين، وقد اعتمد الفقهاء في إصدار فتاويهم على الكتب الفقهية المعلومة الصحيحة المشهورة وكانوا يحرمون أن تدخل في حضرة فتاويهم الكتب الغريبة التي لم تشتهر وقد اشتهر الفقهاء المفتون بالأندلس بإخلاص وعدم لتلاعب أو كأن يفتي للعامة بالتشدد والخواص بولاة الأمور بالتخفيض بل كانوا يعدون ذلك من الفسوق والخيانة في الدين والتلاعب بالمسلمين ودليل الفراغ من تعظيم الله، وقد كان اعتمادهم في فتاويهم على مذهب مالك دون غيره.[2]

كانت مجالس الفتوى مفتوحة حيث يسمح بحضورها لمن يرغب في ذلك وعادة فضل طلاب الفقه كانت لهذه المناظرات التعليمية أهميتها لا تقل عن الوظائف الأخرى، فقد كان تطبيق الأحكام الفقهية هذه فرصة للطلبة لتدوينها ودراستها.[3]

وقد ساهمت هذه المجالس في ازدهار الحياة الثقافية فقد كانت تضج بالنشاط العلمي وتوافد العديد من العلماء والفقهاء والتناظر فيما بيهم وقد كانت تعقد مجالس غالبا:

أ. **المساجد:** اعتمد الأندلسيين عليها في حياتهم العلمية وفي تعليمهم أيضا وكان يعتبر أداة للتنظيم الاجتماعي وكل حاضرة تم بناء المساجد الجامعة كما قام بعض العلماء والفقهاء ببناء

1-علياء هاشم ذنون محمد المشهداني، مرجع سابق، ص109.

2-مصطفى هدوس، مرجع سابق، ص244.

3-أحمد منير الدين، تاريخ التعليم عند المسلمين، ت: سامي صقار، دار المريخ، الرياض، د.ط، 1981، ص20.

مساجد خاصة بهم[1] كما يمثل المسجد أهم وسيلة للاتحاد ليس روحيا فحسب وإنما اجتماعيا أيضا فقد كان يمثل مكان تجمع موحد والتكامل الروحي والاجتماعي والسياسي.[2] وهو بيت الله وأول مسجد شيد في الأندلس هو مسجد قرطبة على يد الأمير عبد الرحمن في سنة 129هـ.[3]

ب. **المنزل:** كان المنزل المؤسسة التثقيفية التعليمية ذات تأثير كبير وارتباط بالتعليم أكثر من شيء آخر حيث يخصص المعلم غرفة خاصة عندما يكون الجو ملائم.[4]

ج. **السوق:** إضافة إلى المسجد والمنزل وجد السوق الذي هو بمثابة المؤسسة الاجتماعية الهامة، ذلك أنه اختص بالأمور الاقتصادية والتجارية من تبادل وشراء للمنتوجات وكان يعتبر عاملا للتكيف الاجتماعي وباعثا للوعي السياسي كما جلبت الأسواق الأندلسية اهتمام الباحثين حديثا خصوصا من الناحية الحضارية والاقتصادية وبالرغم من قلة مصادر التي تساعد على دراسة السوق الأندلسية لكن تحدث عنه مؤلفات الفترات المتأخرة.[5]

إن الحيوية الاقتصادية الاقتصادية عنصر أساسي في المراكز الحضرية والسوق هو جمع السلع والتجار عبر النظام منتظم تسهر عليه الأجهزة وفي مقدمتهم المحتسب، فالسلع المختلفة ألوانها تعبر عن ثقافة السوق والذوق الإنساني، صحيح أن السوق يحتوي على فئات اتصفت بالغش والمخادعة في السلع وهذا مظهر سلبي لكن هذه الإجراءات قضاها عليها المحتسب.[6]

1-محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1989م، ص268.

2-محمد بن عبود ، مرجع سابق، ص205.

3-حسين باشا، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990، ص115.

4-خميس بولعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، المباحث في التاريخ الإسلامي،رسالة ماجستر، باتنة، 2001، ص132.

5-محمد بن عبود، مرجع سابق، ص207.

6-ابن عبد الله المالقي السقطي، إعداد الحسبة، المطبعة الدولية ومعهد العلوم المغربية، باريس، 1931، ص98.

إن لبعض الفتاوى الفقهية، فضلا عن قيمتها العلمية لما تتكشف عنه من إطلاع صاحبها واجتهاده فقد كانت تقضي على البدع فقد عرف المجتمع الأندلسي حوادث والبدع فيها محرمة ومكروهة وغير المحرمة وفيها ألف فقهاء الأندلس فصنفوا الحوادث والبدع وذلك من خلال شرحهم للعامة وتوضيح لهم الالتباس.[1]

ولعل العنصر المهم في حركة التدريس والفتوى هو المعلم أو الفقيه الذي يعتبر المحرك الأساسي وقد اهتم الفقهاء بشتى العلوم ومنها علم الفقه حيث قال البرزلي: "أن المفتي أو القاضي عليه أن يلتزم بالشروط الخمسة: (**على أن لا يكون غير محدود ولا مطلعون عليه في نسبه بولادة وغير أمي وغير فقير وغير مستضعف وأن يكون فطنا نزيها حسيبا حليما مستشيرا لأهل العلم والرأي**) وادلى أن القضاء أخص من العلم بفقهه لأن متعلق فقيه كلي من حيث هو كلي حيث كونه مفتيا فقد احتلت فتاوى ومناظرات الفقه مكانة ومنزلة سامية لدى الأندلسيين إذ حضي بكل تقدير وإجلال في قرطبة.[2]

وهذا وقد ازدهر عصر الفتوى خاصة في عصر الأئمة حيث رأينا اهتمام بالفتوى يكثر والإقبال عليه يزداد وهذا ما يدل على أن أمر الفتوى اقتنى به المسلمون وأولوه عناية فائقة وليس هذا الغريب مادام الناس محتاجون لمعرفة أمور دينهم وكانوا الأئمة لا يتسارعون في الفتوى لما كانت تعرض عليهم قضايا الناس فقد استندوا لحكم الله أولا ثم يطبقونه.[3]

1-حسن الوراكالي، ياقوتة الأندلس، دراسة في الثرات الأندلسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994، ص157.

2-البرزالي، فتاوى البرزالي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام، محمد حبيب الهيلة، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2002، ص07.

3- عمر الجيدي، مباحث المذهب المالكي، ص127.

لقوله تعالى:" **فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** "[1] كما أوجب الله تعالى على العالم أن يبين للناس ولا يتكلم من عنده لقولته تعالى:" **نَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ** "[2]

- **ثالثا: علم الفقه وعلوم الدين.**

أولا: علم الفقه:

يعد الفقه من العلوم المستحدثة لدى المسلمين ولم يكن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم في حاجة إليه ذلك أن مباحث هذا العلم منها ما يرجع إلى اللغة ومنها ما يرجع إلى استنباط الأحكام ومنها ما يرجع إلى البحث لمعرفة الوثوق به ولكن رجال السلف كانوا على غنا عنه لأن اللغة كانت ملكة فطرية عندهم لكن بعدهم الصحابة أصبحت الحاجة إلى معرفة أصول الفقه لعدة أسباب منها: أما الرقعة الإسلامية اتسعت فاختلط العرب اللغوي ودخل الإسلام كثيرا من العجم فضاعت لغوية العرب وتضاربت الأقوال فظهرت الحاجة إلى قواعد وضوابط تعين فهم النص واستنباط الحكم منه.[3]

لقد كل يوم اثنين في قرطبة بعقد مجلس مناظرة في كتاب الموطأ وغيره من الكتب الحديثة وفي يوم الثلاثاء مجلس مناظرة في مدونة والمستخرجة وغيرها وكان تطرح أثناء المجلس للنقاش ويترك المجال للحاضرين لقول رأيهم فيها وكما كانت مناظرات أخرى مع فرق أخرى في فقه المذهب.[4] كالمخالفة محمد بن أبي سعيد ابن حزم لجمهور فقهاء المالكية في مسألة الطهارة، فهو يقر أن يجوز للجنب

1-سورة النحل، الآية 43.

2-سورة البقرة، الآية 159.

3-حمادي العبيدي، مرجع سابق، ص116.

4-أبو زهرة، مرجع سابق، ص255.

والحائض والنفساء أن يلمس المصحف وتقرأ القرآن الكريم وذلك فتح مجالا واسعا في المناظرة بين فقهاء فقد كان منهجه مختلف يعتمد فيه المنهاج الظاهري للنصوص وهنا ظهر أثر المناظرات على الفقه ودخل في خصومه شديد من فقهاء المالكية حيث اتهمت بالتقليد والجود وكان جدال بينهما محترم وقد علله بعض الباحثين لقوة حجته أمام مالكيين أنهم عجزوا عن مجاراته بتقديمه حجة قوية في جدالهم معه بالإضافة إلى أسلوبه اللاذع والعنيف في الرد عليهم مع تشدده في الدفاع عن آرائه والتمسك بها.[1]

أما عن دور النساء: فلم يكن نشاط المرأة الأندلسية مقتصرا على تربية الأبناء فقط، أو ربة بيت بل ساهمت في النشاط العلمي فلقد أنجبت الأندلس نساء كثيرات نبغن في العلوم فقد شاركن في قراءة القرآن ولم تقتصر على القراءة بل نجد بعضهن قد اشتهرت بكتابة المصاحف الشريفة وقد اشتهرت عائشة بنت أحمد بن محمد القرطبية متوفاة سنة 400هـ قيل فيها إنه لم يكن في زمانها من يعادلها فهما وأدبا.[2]

وقد اشتهرت المرأة الأندلسية في مجالات أخرى وكان لها حضور متقدم ومتميز كعلم الفقه الذي يعد أحد العلوم الدينية التي كان لها وجاهة ومرتبة فقيه كانت رفيعة عندهم وكانوا يعظمون نساء فقيهات، كما برزن في مجال الأدب وقد وصفهم المقري وصفا بليغا حين قال: "**كان لهن اليد الطولى في البلاغة كي يعلم أن البراعة أهل الأندلس كالغريزة لهم حتى في نسائهم وصبيانهم**" وأبرز "قمر" جارية إشبيلية التي أجادت نظم الشعر وهي من جواري التي جلبن من بغداد وكانت ذات بيان وفصاحة ومعرفة بالألحان والغناء وكان لها شعر يستحلى ويستحسن.[3]

1-ابن حزم، مصدر سابق، ص108.

2-خالد حسن حمد الجبالي، الزواج المختلط بين المسلمين وإسبان من الفتح الإسلامي للأندلس وحتى سقوط الخلافة، مكتبة الأدب، القاهرة، جدة، 2004، ص134.

3- خالد حسن حمد الجبالي، مرجع سابق، ص139.

كما برز العديد من الفقهاء في هذا الميدان واجتهدوا في اجتهادهم على الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وعلوم اللغة وعلم القياس فقط لم يعتمدوا على تقليد أحد معين لتكون مناظرتهم في أصول الفقه لازمة لإثبات قدراتهم الفقهية ومع هذا اتهم فقهاء المالكية بالتقليد والجمود.[1]

ثانيا: على العلوم الدينية.

أ. علم الحديث:

هو الآخر نال عناية باعتباره المصدر الثاني للتشريع ومن علوم الحديث النظر في الأسانيد التي كان أشهرها "مسند البخاري" إمام المحدثين في عصره الذي أخرج أحاديث السنة على أبوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق الحجازيين والعراقيين والشاميين، واعتمد على ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا عليه، وقد أشتمل المسند على تسعة آلاف وأربعمائة حديث، ثم ألف الإمام مسلم الصحيح الذي حذا فيه حذو البخاري وقد كثر عناية العلماء المغاربة بالمسند الإمام مسلم وقد انتشر أيضا في الأندلس لأنهم أخذوا على أهل الغرب بالإضافة إلى سنن الترميذي وسنن النسائي[2] فتهافت الأندلسيين على هذا العلم بالدراسة والفهم ولا تنكروا الرحلات العلمية التي قام بها رجال الحديث إلى المشرق ودورها في نهضة علوم الدين في الأندلس وتحفل كتب التراجم الأندلسية بالكثير من علماء الحديث وأبرزهم:[3]

عبد الملك بن حبيب: فهو يعتبر أول من أدخل علم الحديث إلى الأندلس بالإضافة إلى صعصح ابن معاوية بن صالح اللذان توفيا أواخر القرن الثاني للهجرة الثامن ميلادي غير أن

1- علياء هاشم ذنون شهداني، مرجع سابق، ص.131

2-عبير زكريا سليمان بيومي، مرجع سابق، ص217.

3-خميس بولعراس، مرجع سابق، ص154.

الأحاديث النبوية التي أدخلها ابن حبيب كانت تسمى الحديث القديم ولأنها لم تفي بالمتطلبات العلم الحديث تعرضت إلى انتقادات.[1]

ومن الذين أدخلوا الحديث إلى الأندلس في المرة الثانية بقي بن مخلد (ت: 276هـ/889م) وابن وضاح (ت: 278هـ/900م) كان عالما بصيرا بطريقة مكتملة على علله وقد تتلمذ على يد علماء من العراق[2] بالإضافة إلى محافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري (ت: 463هـ/1072م) الذي يعتبر من أوسع العلماء علما وأكثرهم معرفة فتسابق الناس إلى مجالسته وحلقاته، وهو إمام الأندلس في رواية الحديث وقد ألف الموطأ كتبا مفيدة.[3]

كما برز المحدث عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس (ت: 420هـ/1029م) كان من أئمة الحديث وكبار علمائه حافظا له عارفا بعلومه، صنف في الحديث كتب كثيرة (مسند حديث محمد بن فطيس في خمسين جزء).[4]

ويعتبر أبو الوليد بن سليمان بن خلف الباجي (474هـ/1053م) من أبرز فقهاء الذين جمعوا بين الفقه والحديث، حيث بدأ حياته في خدمة مظفر صاحب بطليوس وصنف كتب كثيرة كالمنتقي وكتاب التعديل والترجيح فيمن روي عنه البخاري في الصحيح كما كانت له جولات في المناظرات فالعصر الذي عاش فيه طرحت فيه مسائل فقهية وأخلاقية كان مقاصدها معاني الحياة وغاياتها.[5]

1-سلمى الخضراء الجيوسي، مرجع سابق، ص339.

2-حامد الشافعي دياب، الكتب والمكتبات والأندلس، دار قباء للطباعة، القاهرة، ط1، 1998..

3-ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ج2، ص403.

4-ابن شكوال، مصدر سابق، ج1، ص324.

5-روجيه غارودي، الإسلام فيغرب قرطبة عاصمة العالم والفكر، ت: ذورقان قرطوط، جوهر الشام، دمشق، ط1، 1995، ص92.

وكان لابن حزم راسخة في الحديث واعتنى به عناية شديدة ذلك أنه كان الجزء الهام في المذهب الظاهري ولهذا فإن أنصاره جعلوه هدفا لدراستهم وانتقد هذا الأخير المالكين في أنهم جمدوا الفقه باعتمادهم على المدونة والمستخرجة أو كتب المسائل وفي رأيه أنهم تركوا روح المذهب وقاموا بتقليد أصحاب المذهب مما أدى إلى ضعف علم الحديث وعدم المعرفة.[1]

وأبو محمد غانم المخزومي (ت: 470هـ/1074م) محدث جليل وفي ألمرية برز القاضي الشهير أبو علي الحسن بن محمد المعروف بابن سكره وهو من أهل سرقسطة وسمع بألمرية وأبو عبد الله المرابط كان عالما بالحديث وطرقه عارفا بعلله، وكان لعلم الحديث شهرة في جزيرة ميروقة، ومن أبرز محدثيها عبد الملك بن سليمان الخولاني سمع بالأندلس وإفريقية ومصر وقد أخذ عنه الكثير، وما يمكن أن نستنتجه من خلال تراجم هؤلاء العلماء أنهم كانوا علماء موسوعين في علوم شتى كما أثبت الأندلسيين قدرتهم الكبيرة في إثراء ميدان الحديث بتأليفهم ودراستهم ومناظرتهم العلمية كما اهتموا بعلم القراءات (**قراءة نافع أحد القراء السبعة**) وقد برز فيه الكثير منهم (أبو عمرو الداني الذي بلغ الغاية في هذا العلم فتعددت بذلك تأليفه.[2]

ب. التفسير:

هو علم يعرف به نزول الآيات، وشأنها وإفصاحها والأسباب النازلة فيها ثم ترتيبها مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها ومجملها ومفسرها وحلالها وحرامها وأمرها ونهيها وأمثالها وغيرها.[3] ومع مرور الوقت بدأ ظهور علوم اللسان في موضوعات اللغة وأحكام الإعراب والبلاغة في التراكيب، فوضعت مؤلفات في ذلك فاحتيج إلى تفسير القرآن على طريقتين: التفسير الفعلي المسند إلى الآثار المنقولة عن السلف وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب نزول ومقاصد الآيات وذلك بنقل

1-ابن سعيد، مصدر سابق، ص357.

2-خميس بولعراس، مرجع سابق، ص156.

3-محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية أصولها المشرقية وتأثيرها الأندلسية، الهيئة المصرية، القاهرة، د.ط، 1987، ص72.

الصحابة التابعين أما الطريقة الثانية هو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب.[1]

وعلى أية حال كان للروح الدينية أثر كبير في حياة الأندلسيين فقد كان الولاة يهتمون بالعلوم النقلية (الحديث والفقه والتفسير) والعلوم العقلية (علم الكلام) لكن جل اهتمامهم كان بالعلوم النقلية باعتبارها مصدر للتشريع وتألقت شخصيات علمية كثيرة ومن أهم الكتب التفسير الدجر لابن حيان القرطبي الأندلسي (ت: 671هـ).[2]

بالإضافة إلى عبد الرحمن بن مخلد المتوفى (276هـ/889م) وأبو محمد مكي بن أبي طالب (ت: 468هـ/1054م) الذي كتب تفسير المسمى "الهداية" وهو من عشرة أسفار ويعرف أيضا باسم تفسير القرطبي.[3]

1-عبير زكريا سليمان بيومي، مرجع سابق، ص221.

2-حامد الشافعي، مرجع سابق، ص37.

3-محمد عادل عبد العزيز، مرجع سابق، ص74.

بالإضافة إلى صفرة الأسدي (ت: 430هـ/1038م) له كتاب في شرح البخاري، وكان له تأثير كبير في تعميق معرفته بتفسير القرآن ومعرفة أحكامه، كما برز في بلنسية[1] سليمان بن أبي قاسم نجاح وكنيته أبو دواد له مؤلفات كثيرة في معاني القرآن (ت: 496هـ/1102م)، كما حاز أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي بأكبر قسط من الشهرة حيث كان أستاذ لابن حزم وابن عبد البر (ت: 420هـ/1029م).[2] ولكن لم ينل علم الكلام عناية كبيرة من أهل الأندلس في بادئ الأمر حيث كانوا يتخذون طريقة السلف منهجا وبالتالي فلم يميلوا إلى هذا العلم ولم يشجعوا دراسته وكانوا يتهمون من يتبع هذا العلم بالكفر والإلحاد ومن هنا فإن عدد قليل مارس هذه العلوم كابن حزم وابن رشد ...وغيرهم.[3]

1-**بلنسية**: مدينة مشهورة في شرق الأندلس وتسمى مدينة التراب وبها خمسة أبواب، ولها أقاليم كثيرة وحصون عديدة، سقطت على يد النصارى سنة (636هـ/1238م) على يد الملك أرجون، ينظر: الحميري، مصدر سابق، ص97.

2-خميس بولعراس، مرجع سابق، ص161.

3-حامد الشافعي، مرجع سابق، ص41.

أولا: المجال الفكري والسياسي

1- المجال الفكري:

إن المناظرات التي جرت بين الفقهاء كثيرة ولا يمكن حصرها واستقصائها فقد كانت تجري هذه المناظرات في مسائل الفقه وكانت تطول أحيانا فتنتج مؤلفات وتقتصر أحيانا فتتأتي في ورقة أو ورقات ذات عدد وذلك بحسب طبيعة المسألة المتناظر فيها ودرجة المتناظرين من حيث سعة علومهم وكثرة إطلاعهم وقوة أسلوبهم في المنافسة كالمناظرات بين ابن رشد[1] ومعاصريه في مسألة المفاضلة، وقد ذهب ابن رشد إلى تفضيل لا إله إلا الله بينما ذهب معاصريه إلى تفضيل الحمد لله[2] وكان يعقد هاته المجالس في بعض الأحيان في المساجد وفي بعض الأحيان في منازل الفقهاء لظروف خاصة أما عند انتهاء مجلس المناظرة فقد كان يختم بإلقاء درس وعظي ليستفيد منه العامة الحاضرين، ولكثرة تواليف بعض الفقهاء ومناظرتهم حتى أصبحوا قواعد الإسلام لا نظير لهم لنهم لم يكونوا يقلدون أحدا.[3]

- **حركة التأليف:**

لقد بدأت الحركة تأخذ طريقها بداية من النصف الأخير من القرن الثاني للهجرة وقد تنوعت وتعددت المؤلفات المباشرة وغير المباشرة[4] كما استمر التأليف في القرن الرابع هجري وقد برزت فيه أعمال الفقهاء ومن أبرزهم: **يحي بن إسحاق بن يحي الليثي**: (302هـ/915م) صاحب كتاب المبسوطة في اختلاف أصحاب مالك وأقواله فهو كتاب مشهور عده الكثير من أمهات الفقه المقارن

1-ابن رشد: هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي شيخ المالكية زعيم فقهاء وقته في أقطار الأندلس والمغرب عاش سبعين سنة ومات في ذي القعدة وكان حسن الخلق، ينظر: الذهبي، سير النبلاء، مصدر سابق، ج19، ص502

2-ابن رشد، فتاوى ابن رشد، مختار بن طاهر الدليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص226. جماري العبيدي، ابن رشد وعلوم الشريعة الإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1991، ص10.

3-ابن شكوال، مصدر سابق، ج1، ص120.

4-عمر الجيدي، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، منشورات عكاظ، الرباط، د.ط، 1987، ص66.

في المذهب المالكي الذي استطاع من خلال المؤلف أن يوازن بين أقواله المسائل التي طرحها الإمام مالك وتلاميذه.[1]

بالإضافة إلى أحمد بن عفيف أبو عمر القرطبي من أهل الأندلس سمع عن ابن قوطية وبرع في الفقه والوثائق ولم يكن في عصره أعلم منه بها وكان يعظ الناس في مجلسه وهو كان عالما بالشعر أيضا وله تأليف في علم الشروط وألف كتاب "المعلمين" وكتاب "الاختلاف في علماء الأندلس" وله كاتب أسماه كتاب "الجنائز" وله شعر حسن وتولى القضاء فحمدت سيرته وتوفي سنة 410هـ وغيرهم من فقهاء المالكية الذين كانوا عباقرة في زمانهم، كما كان هناك أيضا التأليف غير المباشر وهو استكمال تأليف الكتب بدا أصحابها بها ولم يتموها لسبب غالبا ما كان وفاة مؤلف أصلي فجاء بعده من حرص على إتمامه.[2]

بالإضافة إلى أحمد بن محمد بن أبي عبد الله بن أبي عيسى المعافري المكنى بأبي عمر الطلمنكي الذي سكن قرطبة ورحل إلى المشرق فجمع من أهل المشرق واستفاد منهم وله تأليف جليلة: ككتاب دليل المعرفة الجليل فيه مائة جزء وكتابه في تفسير القرآن وكتابه "فضائل مالك زرجال الموطأ" ورسالة في أصول الديانات إلى أهل لشبونة وغير ذلك من تأليفه وقد كانت له عناية كاملة بالحديث ونقله وروايته وضبطه حافظا للسنن[3] بالإضافة إلى مؤلفات ابن باجي وقد ظهر فقهاء من غير المالكية في تأليف مؤلفات من خلال المناظرات ومن أبرزهم ابن حزم الذي حرص كثيرا على تحديد معاني الحدود والألفاظ وتجنب الالتباس والمغالطة أثناء النقاش وليس هذا فحسب بل امتاز أسلوبه بالحرص على اختيار الموضوع الذي يريد البحث فيه وينتقي عناصره ويحدد جزئياته ويعين

1-ابن فرضي، المصدر السابق، ج2، ص232.

2-ابن فرحون، ط1، ص100.

3-ابن فرحون، مصدر سابق، ص102.

الخطة المنهجية بالدقة مبينا الغرض والهدف من تأليفه وكان رده لاذعا خاصة في المناقشة مع غير المسلمين والمنحرفين المنكرين للسنة كاليهودي ابن نغريلية.[1]

وقد انتقد أيضا المصنفين على أنهم لا يدركون حقيقة التأليف لكونهم يحلقون حول المعاني ولهذا السبب كان مستوعبا لما يكتب فقد حاصر موضوعاته برمتها في جزئياتها أو أبوابها.[2]

كما ظهر جليا اهتمام الأندلسيين بنظم الأدب والنثر والموشحات ولكن أكثر ما انصرفوا إليه هو الشعر وقد أثمروا عديدا من الأبيات حتى أصبح أهل الأندلس كلهم شعراء حتى قال قزوين "إن أرى فلاح يحرث بأثوار في شلب يرتجل ما شئت من الأشعار ما شئت من موضوعات" وقد قطع شعراء الأندلس طولا وعرضا يتجهون إلى قصور الأمراء حيث يظفرون بالمأوى والصلاة (ويحاضرون) ويحضرون مجالس أصحاب الأمر وتدرج أسماؤهم في سجلات دواوين وتخلع عليهم وظائف التدريس وقد تميز الشعراء أنهم كانوا يتغنون بمن يدفع أكثر ولمن يقدم رفاهية أعظم وتحول الفن الجميل والنبيل على هذه الفئة إلى سلعة تباع وتشترى.[3] وقد تناول هذا الأخير مواضيع مختلفة ولاسيما الغزل والمديح والوصف والشكوى والعتاب، وقد برزت عدة شخصيات كالأمراء مثلا فقد كان معظم الامراء شعراء كالمعتمد قاسم بن عباد أشهر ملوك طوائف الأندلس (631هـ) وتلقى دروسه في بلاط أبيه المعتضد الذي كان مقصد رجال العلم وبدأ حياته في السياسة أيضا ثم برزت أيضا مواهبه في الشعر سنة 688هـ توفي معتمد بن عباد وأنهى مسيرته نهائيا.[4]

1-ابن شكوال، مصدر سابق، ص319.

2-محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص114.

3-طاهر احمد مكي، الدراسات الأندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1987م، ص51.

4-مؤلف مجهول، قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم، الشعراء العرب وأدباؤهم العصر الأندلسي وعصر النهضة، ت: **Edito Crepsintitionel**، بيروت، د.ط، 1998، ص12.

2-المجال السياسي:

لقد كان إلى جانب الأمير دائما عددا كبيرا من الشيوخ ذوي العلم الواسع والمتين والدين القويم يسمون بالفقهاء المشاورون أي الذين يشاورهم الأمير في كبار شؤونه وخاصة الدينية منها وقد اتبع الفقهاء هذه الخطة لنهم كانوا يرفضون تولي القضاء أو الوظائف العامة مكثفين بالانصراف إلى العلم والتدريس وإفتاء للناس وحل مشاكلهم وكان هذا الموقف يرفع من مقامهم في أعين الناس.[1]

ولم يكن عزوفهم عن المناصب الرسمية تعبيرا لرفض الحكم أو السلطة بل كانوا يتبعون سياسة الإمام مالك وحتى أمراء استقاموا من هذا العزوف حيث اختاروهم في مجالسهم واعتبروهم كأهل للشورى لهم.[2]

وأول من اتبع هذا المنهج هو يحي بن يحي الليثي وهو ما كان يوصى باختيار الفقهاء المشاورون إلى هيئة تجتمع معا لاتخاذ القرار بل كان الأمير يستشيرهم وقد كان يرسل لهم قضايا في بيوتهم ليبدوا آرائهم فيها[3] وكان كبير المشاورين يسمى بشيخ الفتية أو شيخ المسلمين او رئيس البلد وكلها تسميات تدل على كبر المكانة التي كان يتمتع بها الفقهاء المشاورون في ذلك العصر ومناظرتهم كان لها شأن رفيع عند الأمراء[4] وقد كانوا من صغار فقهاء المرشحين للقضاء لأنهم عادة كانوا من كبار أهل العلم والفقه لأن الفقيه المشاور والمفتي كان شيئا واحدا وقد كان في معظم الأحيان عندما لا يتم رضاهم عن القاضي يعزل عادة إذ لم يرض الناس عنه لكن لم يكن لهم اختصاص في شؤون

1-المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وازدهارهم وعبادهم وتهاكهم ويسر من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ت:بشر بكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994، ص217.

2-حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، ج1، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، ط1، 1992، ص85.

3-حسين مؤنس، شيوخ العصر في الأندلس، ص30.

4-حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، ص86.

الدولة فلم يكونوا يناظرون في شؤون الدولة فلم يكونوا يتدخلون إلا في حال أن أراد الأمير أن يشاورهم في الأمر.[1]

ولكن لم يخلى من مواقفهم السياسية فقد كانت تطبع مواقفهم المرونة والواقعية وذلك تجلى في مسؤولياتهم الدينية والثقافية والتربوية وقد كانوا يصدرون فتواهم في مناظرات الرأي الأصلح والأصح للعام والخاص، فقد كانوا يبرزون لهم معتقداتهم ومواقفهم الدينية في إطار الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وقد كان موقف العلماء يختلف من واحد إلى آخر لكنهم كانوا يشتركون في مبادئ العامة المنبثقة عن الإسلام بينهم، أي من خلال مناظراتهم نرى وجود معتقدات مشتركة لكن لم يتفقوا على رسائل وخطط وطرق لتحقيق أهدافهم.[2]

ولعل الغرض من قيام الفقهاء في الأندلس هو إحاطة البيت الحاكم بسياج من أهل الدين والعلم والورع والمكانة عند الناس ليضمن شرعية الحكم في نظرهم.[3]

ثانيا: أثر المناظرات على القضاء والفتوى.

1. على القضاء:

القضاء في اللغة يطلق على معان متعددة لقوله تعالى:" **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا** "[4] أي حكم وحتم.

والقضاء يأتي على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه وكل ما أحكم عمله، أو أتم أو ختم والحكم يأتي بصغر العلم والفقه، والقضاء والعدل وهو مصدر حكم يحكم.

1-حسين مؤنس، شيوخ عصر الأندلس، ص34.

2-محمد عبود، مرجع سابق، ص185.

3-حسين مؤنس، شيوخ عصر الأندلس، ص35.

4-سورة الإسراء، الآية 23.

أما اصطلاحا: فيعني فصل الخصومات والمنازعات عن طريق إلزام الخصوم بأحكام الشريعة من الكتاب والسنة والاجتهاد بطريقة معينة فهو إخبار عن الحكم الشرعي على طريقة الإلزام[1] ولمكانته العظيمة ومنزلته الشريفة كان للعرب في جاهليتهم أيضا فقد كانوا يختارون له أهله ويطلقون عليهم الحكام.[2]

وكانت الوظيفة الكبيرة في الأندلس تسمى بالخطة مثل خطة الوزارة مثلا، وقد كان القضاء من الخطط الكبرى في الأندلس وصاحبها كان يشبه الآن بوزير العدل فهو لا يتولى قضاء منطقة فقط بل يكون اختصاصه اختيار قضاة المدن الأخرى وينظر في شؤونهم ويراقب أعمالهم وكان بعد قاضي الجماعة الثالثة بعد الأمير والحاجب ولهذا كانوا يختارون القضاة بعناية شديدة وتدقيق بالغ.[3]

وقد تولى منصب قاضي الجماعة بالأندلس عدد كبير من الفقهاء فأقاموا العدل ودفعوا الظلم وثبتوا أركان الأمن في جميع أنحاء المجتمع كما شاركوا مناصب أخرى خاصة بالقضاء ومنها:

أ. **قضايا السوق أو الحسبة:** وقد كان بجانب وظيفة القضاء وظيفة الحسبة يناولها عالم وجيه فطن وكان يمر على السوق راكبا معه أعوانه فيزن السلع ويمتحن الأسعار وقد يرسل أيضا المحتسب إلى بائع من يمتحنه فإذا عهد عليه الخيانة ضرب أولا ثم حرس وغن لم ينفع معه ذلك نفي من البلد.[4]

ومن أبرز الفقهاء الذين تولوا ولاية السوق في الأندلس الفقيه: عيسى بن دينار وحسين بن عاصم بن مسلم بن كعب من قرطبة توفي سنة 180هـ وذكره عبد الملك بن حبيب في طبقة رجال الأندلس

1-سالم بن عبد الله خلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج1، مكتبة ملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 2003، ص629.

2-علي محمد الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين، مؤسسة إقرؤه، القاهرة، ط1، 2006، ص160.

3-حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، ص84.

4-النباهي، مصدر سابق، ص07.

وفقهائها وكانت له رحلة لقي فيها أصحاب مالك رحمه الله وقد قال سحنون "إن بن عاصم يحلف الناس بالطلاق فقال من أين اخذ هذا قال سحنون من قول مالك رحمه الله يحدث الناس فتحدث لهم أقضيته.[1]

ب. **قاضي الجند:** وقد كان بجانب وظيفة قضاء السوق والحسبة أيضا قاضي الجند فقد يختص في منازعات العسكر، وقد كان في معظم الأوقات يكون أمير الجيش هو القاضي.[2]

ج. **صاحب الشرطة:** وهي الولاية قائمة بذاتها في الأندلس وكانت جزء من ولاية الحسبة تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان صاحب هذه المهمة يعمل بأحكام الشرطة ولهذا عدت من خطط الحكم وتنقسم إلى الشرطة الصغرى والشرطة الكبرى.[3]

د. **خطة الرد:** وهي بمثابة المحكمة العليا أو محكمة التمييز وهي من الخطة التي ميزت بها الأندلس واختصاص صاحب الرد أن ينظر في أحكام القضاة أو يحكم فيها استرابه الحكم وردوده عن أنفسهم وكان يقوم بمثابة التفتيش على أحكام القضاة ويطالع الرعايا ويقف على أحوال الناس وأطلق على من يديرها وظيفة صاحب الرد وكان يجتهد صاحبها ويدرس المناظرات بشكل دقيق والمتزن ليجدهما هو الأصح والأدل والأعدل.[4]

ولعل العنصر الأساسي الذي كان يعتبر المحرك في القضاء أن كان يلزم للقاضي أن يكون مناظر مميز يعرف كيف يناظر ويفرض أحكام عن طريق أدلة وبراهين ملموسة فقد كانت المناظرة التي تتم في مجلسه هي حاسم في قضاياه وخاتمة لشكوكه ونقطة انتهاء للأصح والمظلوم.

1-مصطفى هروس، مرجع سابق، ص264.

2-النباهي، مصدر سابق، ص12.

3-ابن خلدون، المقدمة، ت: الوافي، دار النهضة، القاهرة، ط3، 2014م، ص222.

4-محمد الزحيلي، تاريخ القضاة في الإسلام، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1415هـ، ص131.

- **ثانيا: الفتوى.**

الفتوى هي تبليغ الحكم الشرعي عن الله عز وجل من طلبة دون أن يقترن بذلك التبليغ بإلزام ومن ينتصب للفتوى عليه أن يصل إلى كفاءة علمية معينة تؤهله لذلك كما كان المفتي أن يحصل على تأييد وموافقة كبار الفقهاء وأصحاب الكلمة المسموعة.[1]

اعتنى أهل الأندلس بالفتوى عناية شديدة لما لها من مصالح على المسلمين، وقد اعتمد الفقهاء في إصدار فتاويهم على الكتب الفقهية المعلومة الصحيحة المشهورة وكانوا يحرمون أن تدخل في حضرة فتاويهم الكتب الغريبة التي لم تشتهر وقد اشتهر الفقهاء المفتون بالأندلس بإخلاص وعدم لتلاعب أو كأن يفتي للعامة بالتشدد والخواص بولاة الأمور بالتخفيض بل كانوا يعدون ذلك من الفسوق والخيانة في الدين والتلاعب بالمسلمين ودليل الفراغ من تعظيم الله، وقد كان اعتمادهم في فتاويهم على مذهب مالك دون غيره.[2]

كانت مجالس الفتوى مفتوحة حيث يسمح بحضورها لمن يرغب في ذلك وعادة فضل طلاب الفقه كانت لهذه المناظرات التعليمية أهميتها لا تقل عن الوظائف الأخرى، فقد كان تطبيق الأحكام الفقهية هذه فرصة للطلبة لتدوينها ودراستها.[3]

وقد ساهمت هذه المجالس في ازدهار الحياة الثقافية فقد كانت تضج بالنشاط العلمي وتوافد العديد من العلماء والفقهاء والتناظر فيما بيهم وقد كانت تعقد مجالس غالبا:

أ. **المساجد:** اعتمد الأندلسيين عليها في حياتهم العلمية وفي تعليمهم أيضا وكان يعتبر أداة للتنظيم الاجتماعي وكل حاضرة تم بناء المساجد الجامعة كما قام بعض العلماء والفقهاء ببناء

1-علياء هاشم ذنون محمد المشهداني، مرجع سابق، ص109.

2-مصطفى هدوس، مرجع سابق، ص244.

3-أحمد منير الدين، تاريخ التعليم عند المسلمين، ت: سامي صقار، دار المريخ، الرياض، د.ط، 1981، ص20.

مساجد خاصة بهم[1] كما يمثل المسجد أهم وسيلة للاتحاد ليس روحيا فحسب وإنما اجتماعيا أيضا فقد كان يمثل مكان تجمع موحد والتكامل الروحي والاجتماعي والسياسي.[2] وهو بيت الله وأول مسجد شيد في الأندلس هو مسجد قرطبة على يد الأمير عبد الرحمن في سنة 129هـ.[3]

ب. **المنزل:** كان المنزل المؤسسة التثقيفية التعليمية ذات تأثير كبير وارتباط بالتعليم أكثر من شيء آخر حيث يخصص المعلم غرفة خاصة عندما يكون الجو ملائم.[4]

ج. **السوق:** إضافة إلى المسجد والمنزل وجد السوق الذي هو بمثابة المؤسسة الاجتماعية الهامة، ذلك أنه اختص بالأمور الاقتصادية والتجارية من تبادل وشراء للمنتوجات وكان يعتبر عاملا للتكيف الاجتماعي وباعثا للوعي السياسي كما جلبت الأسواق الأندلسية اهتمام الباحثين حديثا خصوصا من الناحية الحضارية والاقتصادية وبالرغم من قلة مصادر التي تساعد على دراسة السوق الأندلسية لكن تحدث عنه مؤلفات الفترات المتأخرة.[5]

إن الحيوية الاقتصادية الاقتصادية عنصر أساسي في المراكز الحضرية والسوق هو جمع السلع والتجار عبر النظام منتظم تسهر عليه الأجهزة وفي مقدمتهم المحتسب، فالسلع المختلفة ألوانها تعبر عن ثقافة السوق والذوق الإنساني، صحيح أن السوق يحتوي على فئات اتصفت بالغش والمخادعة في السلع وهذا مظهر سلبي لكن هذه الإجراءات قضاها عليها المحتسب.[6]

1-محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1989م، ص268.

2-محمد بن عبود ، مرجع سابق، ص205.

3-حسين باشا، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990، ص115.

4-خميس بولعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، المباحث في التاريخ الإسلامي،رسالة ماجستر، باتنة، 2001، ص132.

5-محمد بن عبود، مرجع سابق، ص207.

6-ابن عبد الله المالقي السقطي، إعداد الحسبة، المطبعة الدولية ومعهد العلوم المغربية، باريس، 1931، ص98.

إن لبعض الفتاوى الفقهية، فضلا عن قيمتها العلمية لما تتكشف عنه من إطلاع صاحبها واجتهاده فقد كانت تقضي على البدع فقد عرف المجتمع الأندلسي حوادث والبدع فيها محرمة ومكروهة وغير المحرمة وفيها ألف فقهاء الأندلس فصنفوا الحوادث والبدع وذلك من خلال شرحهم للعامة وتوضيح لهم الالتباس.[1]

ولعل العنصر المهم في حركة التدريس والفتوى هو المعلم أو الفقيه الذي يعتبر المحرك الأساسي وقد اهتم الفقهاء بشتى العلوم ومنها علم الفقه حيث قال البرزلي: "أن المفتي أو القاضي عليه أن يلتزم بالشروط الخمسة: (**على أن لا يكون غير محدود ولا مطلعون عليه في نسبه بولادة وغير أمي وغير فقير وغير مستضعف وأن يكون فطنا نزيها حسيبا حليما مستشيرا لأهل العلم والرأي**) وادلى أن القضاء أخص من العلم بفقهه لأن متعلق فقيه كلي من حيث هو كلي حيث كونه مفتيا فقد احتلت فتاوى ومناظرات الفقه مكانة ومنزلة سامية لدى الأندلسيين إذ حضي بكل تقدير وإجلال في قرطبة.[2]

وهذا وقد ازدهر عصر الفتوى خاصة في عصر الأئمة حيث رأينا اهتمام بالفتوى يكثر والإقبال عليه يزداد وهذا ما يدل على أن أمر الفتوى اقتنى به المسلمون وأولوه عناية فائقة وليس هذا الغريب مادام الناس محتاجون لمعرفة أمور دينهم وكانوا الأئمة لا يتسارعون في الفتوى لما كانت تعرض عليهم قضايا الناس فقد استندوا لحكم الله أولا ثم يطبقونه.[3]

1-حسن الوراكالي، ياقوتة الأندلس، دراسة في الثرات الأندلسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994، ص157.

2-البرزالي، فتاوى البرزالي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام، محمد حبيب الهيلة، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2002، ص07.

3- عمر الجيدي، مباحث المذهب المالكي، ص127.

لقوله تعالى:" **فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** "[1] كما أوجب الله تعالى على العالم أن يبين للناس ولا يتكلم من عنده لقولته تعالى:" **إن الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك الذين يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** "[2]

- **ثالثا: علم الفقه وعلوم الدين.**

أولا: علم الفقه:

يعد الفقه من العلوم المستحدثة لدى المسلمين ولم يكن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم في حاجة إليه ذلك أن مباحث هذا العلم منها ما يرجع إلى اللغة ومنها ما يرجع إلى استنباط الأحكام ومنها ما يرجع إلى البحث لمعرفة الوثوق به ولكن رجال السلف كانوا على غنا عنه لأن اللغة كانت ملكة فطرية عندهم لكن بعدهم الصحابة أصبحت الحاجة إلى معرفة أصول الفقه لعدة أسباب منها: أما الرقعة الإسلامية اتسعت فاختلط العرب اللغوي ودخل الإسلام كثيرا من العجم فضاعت لغوية العرب وتضاربت الأقوال فظهرت الحاجة إلى قواعد وضوابط تعين فهم النص واستنباط الحكم منه.[3]

لقد كل يوم اثنين في قرطبة بعقد مجلس مناظرة في كتاب الموطأ وغيره من الكتب الحديثة وفي يوم الثلاثاء مجلس مناظرة في مدونة والمستخرجة وغيرها وكان تطرح أثناء المجلس للنقاش ويترك المجال للحاضرين لقول رأيهم فيها وكما كانت مناظرات أخرى مع فرق أخرى في فقه المذهب.[4] كالمخالفة محمد بن أبي سعيد ابن حزم لجمهور فقهاء المالكية في مسألة الطهارة، فهو يقر أن يجوز للجنب

1-سورة النحل، الآية 43.

2-سورة البقرة، الآية 159.

3-حمادي العبيدي، مرجع سابق، ص116.

4-أبو زهرة، مرجع سابق، ص255.

والحائض والنفساء أن يلمس المصحف وتقرأ القرآن الكريم وذلك فتح مجالا واسعا في المناظرة بين فقهاء فقد كان منهجه مختلف يعتمد فيه المنهاج الظاهري للنصوص وهنا ظهر أثر المناظرات على الفقه ودخل في خصومه شديد من فقهاء المالكية حيث اتهمت بالتقليد والجود وكان جدال بينهما محترم وقد علله بعض الباحثين لقوة حجته أمام مالكيين أنهم عجزوا عن مجاراته بتقديمه حجة قوية في جدالهم معه بالإضافة إلى أسلوبه اللاذع والعنيف في الرد عليهم مع تشدده في الدفاع عن آرائه والتمسك بها.[1]

أما عن دور النساء: فلم يكن نشاط المرأة الأندلسية مقتصرا على تربية الأبناء فقط، أو ربة بيت بل ساهمت في النشاط العلمي فلقد أنجبت الأندلس نساء كثيرات نبغن في العلوم فقد شاركن في قراءة القرآن ولم تقتصر على القراءة بل نجد بعضهن قد اشتهرت بكتابة المصاحف الشريفة وقد اشتهرت عائشة بنت أحمد بن محمد القرطبية متوفاة سنة 400هـ قيل فيها إنه لم يكن في زمانها من يعادلها فهما وأدبا.[2]

وقد اشتهرت المرأة الأندلسية في مجالات أخرى وكان لها حضور متقدم ومتميز كعلم الفقه الذي يعد أحد العلوم الدينية التي كان لها وجاهة ومرتبة فقيه كانت رفيعة عندهم وكانوا يعظمون نساء فقيهات، كما برزن في مجال الأدب وقد وصفهم المقري وصفا بليغا حين قال: "**كان لهن اليد الطولى في البلاغة كي يعلم أن البراعة أهل الأندلس كالغريزة لهم حتى في نسائهم وصبيانهم**" وأبرز "قمر" جارية إشبيلية التي أجادت نظم الشعر وهي من جواري التي جلبن من بغداد وكانت ذات بيان وفصاحة ومعرفة بالألحان والغناء وكان لها شعر يستحلى ويستحسن.[3]

1-ابن حزم، مصدر سابق، ص108.

2-خالد حسن حمد الجبالي، الزواج المختلط بين المسلمين وإسبان من الفتح الإسلامي للأندلس وحتى سقوط الخلافة، مكتبة الأدب، القاهرة، جدة، 2004، ص134.

3- خالد حسن حمد الجبالي، مرجع سابق، ص139.

كما برز العديد من الفقهاء في هذا الميدان واجتهدوا في اجتهادهم على الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وعلوم اللغة وعلم القياس فقط لم يعتمدوا على تقليد أحد معين لتكون مناظرتهم في أصول الفقه لازمة لإثبات قدراتهم الفقهية ومع هذا اتهم فقهاء المالكية بالتقليد والجمود.[1]

ثانيا: على العلوم الدينية.

أ. علم الحديث:

هو الآخر نال عناية باعتباره المصدر الثاني للتشريع ومن علوم الحديث النظر في الأسانيد التي كان أشهرها "مسند البخاري" إمام المحدثين في عصره الذي أخرج أحاديث السنة على أبوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق الحجازيين والعراقيين والشاميين، واعتمد على ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا عليه، وقد أشتمل المسند على تسعة آلاف وأربعمائة حديث، ثم ألف الإمام مسلم الصحيح الذي حذا فيه حذو البخاري وقد كثر عناية العلماء المغاربة بالمسند الإمام مسلم وقد انتشر أيضا في الأندلس لأنهم أخذوا على أهل الغرب بالإضافة إلى سنن الترميذي وسنن النسائي[2] فتهافت الأندلسيين على هذا العلم بالدراسة والفهم ولا تنكروا الرحلات العلمية التي قام بها رجال الحديث إلى المشرق ودورها في نهضة علوم الدين في الأندلس وتحفل كتب التراجم الأندلسية بالكثير من علماء الحديث وأبرزهم:[3]

عبد الملك بن حبيب: فهو يعتبر أول من أدخل علم الحديث إلى الأندلس بالإضافة إلى صعصح ابن معاوية بن صالح اللذان توفيا أواخر القرن الثاني للهجرة الثامن ميلادي غير أن

1- علياء هاشم ذنون شهداني، مرجع سابق، ص.131

2-عبير زكريا سليمان بيومي، مرجع سابق، ص217.

3-خميس بولعراس، مرجع سابق، ص154.

الأحاديث النبوية التي أدخلها ابن حبيب كانت تسمى الحديث القديم ولأنها لم تفي بالمتطلبات العلم الحديث تعرضت إلى انتقادات.[1]

ومن الذين أدخلوا الحديث إلى الأندلس في المرة الثانية بقي بن مخلد (ت: 276هـ/889م) وابن وضاح (ت: 278هـ/900م) كان عالما بصيرا بطريقة مكتملة على علله وقد تتلمذ على يد علماء من العراق[2] بالإضافة إلى محافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري (ت: 463هـ/1072م) الذي يعتبر من أوسع العلماء علما وأكثرهم معرفة فتسابق الناس إلى مجالسته وحلقاته، وهو إمام الأندلس في رواية الحديث وقد ألف الموطأ كتبا مفيدة.[3]

كما برز المحدث عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس (ت: 420هـ/1029م) كان من أئمة الحديث وكبار علمائه حافظا له عارفا بعلومه، صنف في الحديث كتب كثيرة (مسند حديث محمد بن فطيس في خمسين جزء).[4]

ويعتبر أبو الوليد بن سليمان بن خلف الباجي (474هـ/1053م) من أبرز فقهاء الذين جمعوا بين الفقه والحديث، حيث بدأ حياته في خدمة مظفر صاحب بطليوس وصنف كتب كثيرة كالمنتقي وكتاب التعديل والترجيح فيمن روي عنه البخاري في الصحيح كما كانت له جولات في المناظرات فالعصر الذي عاش فيه طرحت فيه مسائل فقهية وأخلاقية كان مقاصدها معاني الحياة وغاياتها.[5]

1-سلمى الخضراء الجيوسي، مرجع سابق، ص339.

2-حامد الشافعي دياب، الكتب والمكتبات والأندلس، دار قباء للطباعة، القاهرة، ط1، 1998..

3-ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ج2، ص403.

4-ابن شكوال، مصدر سابق، ج1، ص324.

5-روجيه غارودي، الإسلام فيغرب قرطبة عاصمة العالم والفكر، ت: ذورقان قرطوط، جوهر الشام، دمشق، ط1، 1995، ص92.

وكان لابن حزم راسخة في الحديث واعتنى به عناية شديدة ذلك أنه كان الجزء الهام في المذهب الظاهري ولهذا فإن أنصاره جعلوه هدفا لدراستهم وانتقد هذا الأخير المالكين في أنهم جمدوا الفقه باعتمادهم على المدونة والمستخرجة أو كتب المسائل وفي رأيه أنهم تركوا روح المذهب وقاموا بتقليد أصحاب المذهب مما أدى إلى ضعف علم الحديث وعدم المعرفة.[1]

وأبو محمد غانم المخزومي (ت: 470هـ/1074م) محدث جليل وفي ألمرية برز القاضي الشهير أبو علي الحسن بن محمد المعروف بابن سكره وهو من أهل سرقسطة وسمع بألمرية وأبو عبد الله المرابط كان عالما بالحديث وطرقه عارفا بعلله، وكان لعلم الحديث شهرة في جزيرة ميروقة، ومن أبرز محدثيها عبد الملك بن سليمان الخولاني سمع بالأندلس وإفريقية ومصر وقد أخذ عنه الكثير، وما يمكن أن نستنتجه من خلال تراجم هؤلاء العلماء أنهم كانوا علماء موسوعين في علوم شتى كما أثبت الأندلسيين قدرتهم الكبيرة في إثراء ميدان الحديث بتأليفهم ودراستهم ومناظرتهم العلمية كما اهتموا بعلم القراءات (**قراءة نافع أحد القراء السبعة**) وقد برز فيه الكثير منهم (أبو عمرو الداني الذي بلغ الغاية في هذا العلم فتعددت بذلك تأليفه.[2]

ب. التفسير:

هو علم يعرف به نزول الآيات، وشأنها وإفصاحها والأسباب النازلة فيها ثم ترتيبها مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها ومجملها ومفسرها وحلالها وحرامها وأمرها ونهيها وأمثالها وغيرها.[3] ومع مرور الوقت بدأ ظهور علوم اللسان في موضوعات اللغة وأحكام الإعراب والبلاغة في التراكيب، فوضعت مؤلفات في ذلك فاحتيج إلى تفسير القرآن على طريقتين: التفسير الفعلي المسند إلى الآثار المنقولة عن السلف وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب نزول ومقاصد الآيات وذلك بنقل

1-ابن سعيد، مصدر سابق، ص357.

2-خميس بولعراس، مرجع سابق، ص156.

3-محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية أصولها المشرقية وتأثيرها الأندلسية، الهيئة المصرية، القاهرة، د.ط، 1987، ص72.

الصحابة التابعين أما الطريقة الثانية هو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب.[1]

وعلى أية حال كان للروح الدينية أثر كبير في حياة الأندلسيين فقد كان الولاة يهتمون بالعلوم النقلية (الحديث والفقه والتفسير) والعلوم العقلية (علم الكلام) لكن جل اهتمامهم كان بالعلوم النقلية باعتبارها مصدر للتشريع وتألقت شخصيات علمية كثيرة ومن أهم الكتب التفسير الدجر لابن حيان القرطبي الأندلسي (ت: 671هـ).[2]

بالإضافة إلى عبد الرحمن بن مخلد المتوفى (276هـ/889م) وأبو محمد مكي بن أبي طالب (ت: 468هـ/1054م) الذي كتب تفسير المسمى "الهداية" وهو من عشرة أسفار ويعرف أيضا باسم تفسير القرطبي.[3]

1-عبير زكريا سليمان بيومي، مرجع سابق، ص221.

2-حامد الشافعي، مرجع سابق، ص37.

3-محمد عادل عبد العزيز، مرجع سابق، ص74.

بالإضافة إلى صفرة الأسدي (ت: 430هـ/1038م) له كتاب في شرح البخاري، وكان له تأثير كبير في تعميق معرفته بتفسير القرآن ومعرفة أحكامه، كما برز في بلنسية[1] سليمان بن أبي قاسم نجاح وكنيته أبو دواد له مؤلفات كثيرة في معاني القرآن (ت: 496هـ/1102م)، كما حاز أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي بأكبر قسط من الشهرة حيث كان أستاذ لابن حزم وابن عبد البر (ت: 420هـ/1029م).[2] ولكن لم ينل علم الكلام عناية كبيرة من أهل الأندلس في بادئ الأمر حيث كانوا يتخذون طريقة السلف منهجا وبالتالي فلم يميلوا إلى هذا العلم ولم يشجعوا دراسته وكانوا يتهمون من يتبع هذا العلم بالكفر والإلحاد ومن هنا فإن عدد قليل مارس هذه العلوم كابن حزم وابن رشد ...وغيرهم.[3]

1-**بلنسية**: مدينة مشهورة في شرق الأندلس وتسمى مدينة التراب وبها خمسة أبواب، ولها أقاليم كثيرة وحصون عديدة، سقطت على يد النصارى سنة (636هـ/1238م) على يد الملك أرجون، ينظر: الحميري، مصدر سابق، ص97.

2-خميس بولعراس، مرجع سابق، ص161.

3-حامد الشافعي، مرجع سابق، ص41.

خاتمة

خاتمة:

في ختام البحث نجد أن أوائل القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي صادفت عصر ازدهار وتطور العلوم في الأندلس سواء كانت نقلية أو عقلية وذلك بفضل عدة عوامل وأبرز عامل هو الرحلات العلمية التي ساهمت بشكل كبير في الرقي، فقد شهد عصر ملوك الطوائف رغم ما تخلله من فتن وعواصف ضربت الحياة البسيطة إلا أن هذا عكس إيجابا على الحياة الثقافية ولم يقف عاجزا أمام الدراسات الفكرية والحضارية.

وعليه فإن السجالات الفقهية كان لها نصيب من ازدهار خاصة ما يتعلق بالمذهب المالكي فكثرت شروحاته ودونت المؤلفات الفقهية فيه وذلك راجع لقوة فقهائه الذين كان لهم دور في معظم فترات التاريخ السياسي للأندلس، فقد كان لهم تأثير في مجريات الأحداث وكان لهم دور حاسم من ذلك فجعلهم الطبقة المؤثرة المرغوبة والمرهوبة.

ولكن ما إن ظهرت الثورة الفكرية في بلاد الأندلس لمسنا انتشار ظاهرة المناظرات سواء أكانت بين المذهب الواحد أو بين مختلف المذاهب المتعددة، فقد أثمرت هذه المناظرات بين الفقهاء بعلاقة تعاون تارة وعلاقة خصومة تارة أخرى.

وقد تجلت في معظم الأحيان بين مختلف فقهاء المذهب وخاصة بين المالكية والظاهرية فقد ظهر هذا المذهب كرد فعل للمذهب القياسي الذي يقوم على الأخذ بظواهر النصوص والتأويل وقد دخل هذا المذهب إلى الأندلس سنة 272هـ فكان محصورا بين شقي الرحى مرة يفرض في نفسه على خصومة ومرة يندثر ويختفي نوعا ما على الوجود حتى ظاهر ابن حزم كالداعية لهذا المذهب زاهد في إحيائه ونشره خاصة بعد ما اندثر في المشرق فأركز دعائمه في المغرب الإسلامي فقد أسس منهجه على منطقيات نصية ظاهرية وسعى جاهدا إلى التخلص من أهل الكلام لكنه لم يستطع. فالجدير بالذكر أن ابن حزم قبل أن يكون متكلما كان فقيها ومحدثا، ومع امتداد تيار أهل الفقه والحديث

فقد اصطدم بعديد من الفقهاء فقد خاصم العديد من المذاهب وخاصة فقهاء المالكية وقد جمع بينه وبين المالكية عديد من المناظرات لكن في كل المواجهات كانت لصالحه وذلك لضعف فقهاء المالكية من جهة وقدرته العالية في الجدل من جهة أخرى، فبالرغم ما يتمتع به المذهب المالكي من سيادة لدى الطبقة الحاكمة ودعم العامة له إلا أن ابن حزم استطاع فرض مذهبه ورد تعصبهم لمذهبه غير الجائز وغير الشرعي ورفضهم له الغير المبرهن بأدلة شرعية، فأخذ ينتشر في مذهبه فداع صيته وعلى مكانة، حتى أوتي من يكون له ندى وينافسه وهو أبو الوليد الباجي فقد جمعت بينهما أهم مناظرات في التاريخ فقد تمثل الجدل بينهما في كون كل واحد منها يريد فرض آرائه واستنتاجاته وذلك بالاستناد من القرآن والسنة، فقد طالت الجلسات بينهما فقد تميز بأسلوب وطريقة جدل صحيحة للمناظرة مماثلة في الدعوى والدليل والاعتراض وأخيرا الجواب فقد تناظر الأخيرين حول المسائل الأصولية الاجتهادية كالاعتراض على القراءات القرآنية والدلالة على الاستدلال السني بالإضافة إلى الاعتراض على القياس والتعليل فقد كان يعترضان على الدعوى إلا بالبرهان فكان البرهان هو الأساس الوحيد للاعتراض وقد التزم كلاهما بالابتعاد عن الغضب ولكن في الأخير رغم تغلب الباجي لابن حزم أثنى على الباجي بقوله أنه أعظم فقيه مالكي في عصره.

كما ساهمت هذه المناظرات التي كانت بين مختلف المذاهب الفقهية إلى إبراز قدرات الفقهاء وفسح مجال الاجتهاد أمامهم ومن هنا فقد عدت المناظرة دائما معاكسة للتقليد، ولأهميتها وفائدتها في صقل خبرتهم، قد كرر أغلبيتهم مناظرتهم أكثر من مرة وعلى أكثر من فقيه فقد كانت تكشف حياة المعاشة وتعكس ما فيها من أحداث ومن جهة أخرى قد أثرت على عدة جوانب خاصة على السياسة إذ أثرت على معظم قرارات السياسة، فقد كان بجانب الحاكم عدد كبير من شيوخ ذو علم كانت مناظرتهم وفتاويهم تعد المحرك الأساسي للنظر في الرأي الأصلح والأصح للعامة والخاصة (الطبقة الحاكمة).

فسعى الحكام لجلب هذه الفئة للضغط عليهم من جهة لإصدار فتاوى لصالحهم ومن جهة أخرى كسبهم إلى جانبهم لخشية الانقلاب ضدهم، ولا نهمل أيضا جانب تأثير المناظرات على حركة التأليف، فقوة الأسلوب في المنافسة في بعض الأحيان كانت تنتج مؤلفات وخاصة عندما تطول تدون فتنتج كتبا بالإضافة إلى بعض ملوك الطوائف الذين كانت مجالسهم حافلة بالعلم والعلماء كأمثال معتمد بن عباد وفي ذلك أيضا كان للفتوى الفقهية قيمة علمية فكانت تكشف عن إطلاع صاحبها واجتهاده فقد احتلت الفتاوى والمناظرات مكانة ومنزلة سامية في القرون الوسطى وخاصة عند الأندلسيين، فانتشار هذه المناظرات بين الفقهاء قد أثبت ركوز وثبات الحركة العلمية فتهافت العامة لهذه الدراسة وخاصة ما تعلق بالعلوم الدينية فقد نالت عناية خاصة في إثراء الميدان بالتأليف والدراسات العلمية، ومن جهة أخرى قد تأثروا بما قدمه المشارقة وأضافوا جزئيات وحاولوا التجديد في اختيار الموضوعات، فقد برع الأندلسيين في المناظرات والمفاخرة بين البلدان. وأجمل هذه المناظرات ما دار بين السيف والقلم، والقوة القاطعة والحكمة الصائبة ثم عقد المصالحة بينهما، لأن كل واحد منهما يكمل الآخر، فالدول تبقى وترقى مادام فيها رجال السيف وأرباب القلم فيتحقق العدل بانسجامهما وتناسقهما وعدم اختلافهما.

حاجي سعاد 2018/03/11

قائمة المصادر و المراجع

- **قائمة المصادر والمراجع:**

- **أولا:** القرآن الكريم برواية ورش.

- **ثانيا: المصادر**

1. ابن الآبار محمد بن عبد الله، تكملة الفصل الثاني لكتاب الصلة، ت.عبد السلام هداس، ج3،دار الفكر للطباعة، بيروت،1995.
2. حلة السيراء، ت.حنين مؤنس، ص24، دار المعارف، القاهرة، 1980.
3. بن بسام أبو الحسن علي، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ت.احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1978.
4. ابن بشكوال أبو القاسم خلف، الصلة، ت.ابراهيم أبياري، ج1ج2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989.
5. ابن حزم علي ابن سعيد، الأحكام في أصول الأحكام، ت.أحمد محمد شاكر، منشورات دار الآفاق، بيروت، ط1، 1980.
6. جوهرة انساب العرب، ت.عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1962.
7. رسائل ابن الحزم الأندلسي، ت.احسان عباس، بيروت، ط1، 1980.
8. نقط العروس في تواريخ الحلفاء، ت.شوقي ضيف، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ط2، 1969.
9. ابن حيان بن خلف، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ت.محمود مكي، لجنة احياء الثرات الاسلامي، القاهرة، 1994.
10. ابن خطيب لسان الدين، الإطاحة في أحياء غرناطة، ت.عبد الله عنان، ج4، مكتبة النخانجي، القاهرة، ط1، 1977.
11. ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، ترجمة عبد الواقي، دار الفضة، القاهرة، ط3، 2014.

12. العبر وديوان المبتدئ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ت.أبو صيد الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن، ط1، 2007.

13. ابن رشد محمد، فتوى بن رشد، ت.مختار بن الطاهر الدليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2007.

14. بن سعيد علي بن موسى، المغرب في حلي المغرب، ت.شوقي ضيف، ج1ج2، دار المعارف، القاهرة، 1964.

15. ابن فرحون ابراهيم بن علي، الديباج المذهب في معرفة أعيان العلماء والمذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1992،1.

16. بن فرضي عبد الله بن محمد بن يوسف، تاريخ علماء الأندلس، ت.ابراهيم الأبياري، ج1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989.

17. ابن قدامى المقدسي، روضة الناظر وجنة المناظر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1981.

18. ابن قوطية محمد بن عمر، تاريخ افتتاح الأندلس، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، 1989.

19. ابن صاحب الصلاة عبد المالك، تاريخ المن بالإمامة، ت.عبد الهادي التازي، دار العرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1964.

20. ابن منظور محمد بن كرم، لسان العرب المحيط، دار الصادرة، بيروت، د.س.

21. الباجي أبو الوليد، الأحكام فصول في أحكام الأصول، ت.عبد المجيد تركي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

22. البرزالي أبي القاسم، فتوى البرزالي جامع الأفكار من قضايا المفتين والحكام، محمد الحبيب، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2002.

23. الحميري محمد بن المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطاب، ت.احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.

24. ضفة الجزيرة الأندلس، ت.ليفي برفنصال، دار الجيل، بيروت، ط3، 1988.

25. الجويني عبد العظيم الديك، البرهان في أصول الفقه، ت.عبد العظيم الديك، الانصاف، القاهرة، ط2، 1400هـ.

26. الدهلولي ولي الله، الانصاف في بيان أسباب الإختلاف، ت.عبد الفتاخ أوغدة، دار النقاش، بيروت، ط3، 1986.

27. الدهيلي شمس الدين محمد، سير اعلام النبلاء، ج1ج17، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1983.

28. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ت.أبو فضل ابراهيم، دار المعارف، بيروت، 1965.

29. صاعد الأندلسي أبي قاسم صاعد، طبقات الأمم، المطبعة الكاتوليكية للآباء الياسوعيين، بيروت، ط1، 1916.

30. الضي أحمد بن يحي بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ الأندلس، ج2، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1989.

31. عياض أبو الفضل موسى، ترتيب المدارك وتقريب مسالك المعرفة، أعلام مذهب الإمام مالك، ج1ج2ج3ج4ج5ج8، دار الفكر، ليبيا، د.ت.

32. المالكي عبد الله بن محمد، كتاب رياض النفوس، ت.بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994.

33. المراكشي ابن عذاري، بيان المغرب في أخبا ر المغرب، ج3، دار الثقافة بيروت، 1983.

34. المراكشي عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيض أخبار المغرب، ت.صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006.

35. المقري أحمد بن محمد، نفع الطيب من غض الأندلس الرطيب، ت.احسان عباس، ج3ج2، دار الصادر، بيروت، 1988.

36. مونتغمري وات، في اسبانيا الإسلامية ت.محمد رضا المصري، شركة مطبوعات، بيرةوت، ط2، 1998.

37. الفراهيدي خليل ابن أحمد، كتاب العين، ت.مهدي المخزومي ابراهيم السمرئي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

38. النبهاني، عبد الله بن حسن، تاريخ قضاة، ت.لجنة إحياء الثرات العربي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1983.

39. الكناني شريف محمد المنتصر بالله، معجم الفقه بن حزم الظاهري، ت.الشريف محمد حمزة الكناني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2009.

40. الغزالي محمد بن أحمد، احياء علوم الدين، مكتبة عبد الوكيل الضروبي، دمشق، دت

- ثالثا: المراجع

1. أبو الفضل محمد، تاريخ مدينة ألمريا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997.
2. أبو زهرة محمد، ابن حزم حياته وعصره وآراءه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1987.
3. الألباني، كتاب الموطأ، ت.عبد الله المصري، دار البصائر، القاهرة، 2003.
4. باشا حسين، مدخل إلى العمارة الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1970.
5. البشري سعد عبد الله صالح، الحياة العلمية عصر ملوك الطوائف، جامعة أم القرىّ، الرياض، 1983.
6. عصر الخلافة في الأندلس، مكتبة الفهد الوطنية، الإسكندرية، 1998.
7. بكير أحمد، المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب، دار الفتنة، بيروت، ط1، 1990.
8. بن رستم محمد زين العابدين، الكتب المشرقية والأصول النادرة في الأندلس، دار ابن الحزم، بيروت، 1983
9. بن سودة احمد، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الأمير للثقافة، بيروت ط1، 1995.
10. بن عبود محمد، التاريخ السياسي والإجتماعي لإشبيلية في عهد ملوك الطوائف، مطابع الشيوخ، تيطوان، 1983.
11. جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، المعهد الجامعي للبحث العلمي، تطوان، 1957.
12. بن ياسين يوسف أحمد، علم التاريخ في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، الرياض، ط1، 2002.
13. تركي عبد المجيد، المناظرات في أصول الشريعة بين ابن حزم والباجي، ت.عبد الصبور شهين، دار الغرب، بيروت، ط1، 1986.

14. جاسم ليث سعود، ابن عبد البر وجهوده في الاندلس، دار الوفاء للطباعة، القاهرة، ط2، 1988.

15. جبالي خالد حسن حمد، الزواج المختلط بين المسلمين والأإسبان من الفتح الإسلامي الأندلسي حتى سقوط الخلافة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004.

16. الجيدي عمر، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، منشورات عكاظ، الرباط، 1987.

17. جيوسي سلمى خضراء، الحضارة العربية الإسلامية، ج2، مركز الدراسات الوحدة والتوزيع، بيروت، 2001.

18. حجي عبد الرحمن علي، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، بيروت، 1995.

19. حسين الميمي، أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، ت:/ الشادلي القليسي، سينيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998.

20. حسين محمد منى، المسلمون الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1982.

21. حومد سعد، محنة العرب في الأندلس، مطابع دار الشعب، عمان، ط1، 1988.

22. الخادمي نور الدين، الدليل عند الظاهرية، دار ابن حزم، تونس، ط1، 1993.

23. الخلف سالم عبد الله، نظم حكم الأمويين ورسلهم في الأندلس، ج1، مكتبة ملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 2003.

24. دنون طه عبد الواحد، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2000.

25. دياب حامد الشافعي، الكتب والمكتبات في الأندلس، دار قباء للطباعة،/ القاهرة، ط1، 1998.

26. رجب محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط1، 2008.

27. رسم سعد، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2004.

28. الرشايطي أبو محمد، الإشبيلي بن خراط، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار الأنوار، إميليو آميلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد،1990.

29. رضوان الداية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1951.

30. رفاعي أنور، الإسلام في حضاراته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية وفكر الإسلام، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط3، 1983.

31. روجيه غارودي، الاسلام في غرب قرطبة، عاصمة عالم الفكر، ت.ذاروقان قرقوط، جوهرة الشام، دمشق، ط1، 1995.

32. الزيدان عبد الله بن علي، الأندلس من التقلبات والعطاءات، ج5، مطبعة مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996.

33. سالم عبد العزيز، في تاريخ بطليوس، مؤسسة الشباب الجامعية، الإسكندرية، 1991.

34. في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة الشباب الجامعية، الإسكندرية، 1995.

35. قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة الشباب الجامعية، الإسكندرية، 1998.

36. سرجاني الراغب، قصة الأندلس من الفتح الى السقوط، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.

37. سعد سامية مصطفى، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، عين للدراسات وللبحوث الإسلامية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2000.
38. السقطي ابن عبد الله محمد المالقي، آداب الحسبة، المطبعة الدولية ومعهد العلوم المغربية، باريس، 1931.
39. شاكر مصطفى، الأندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990.
40. صلابي علي محمد، صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، ج5، دار البيارق، عمان، ط1، 2001.
41. صلابي علي محمد، فقه التمكين عن المرابطين، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط1، 2006.
42. ضيف شوقي، العصر العباسي الثاني، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1997.
43. عصر الدول والإطارات بالأندلس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1949.
44. العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 2003.
45. عبد العزيز محمد عادل، التربية الإسلامية في المغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987.
46. عبيدي حمادي، ابن الرشد وعلوم الشريعة الإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، 1991.
47. علي محمد إسماعيل، مدخل إلى دراسات النظم الإسلامية، ط1، إسطنبول، 2014.
48. عنان محمد عبد الله، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998.
49. دول الطوائف مند قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1998.

50. عيسى محمد عبد الحميد، تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1981.

51. الفقي عصام عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة النهضة الشرق، القاهرة، 1984.

52. قجة محمد حسين، المحطات الأندلسية دراسات في التاريخ والأدب والفن الأندلسي، دار السعودية، جدة، ط1، 1985.

53. المامي محمد مختار محمد، المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته وخصائصه، مركز زياد للنشر والتوزيع، ط1، 2001.

54. مكي طاهر أحمد، دراسات الأندلسية في الأدب والتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1987.

55. مكي محمود علي، تاريخ الأندلس السياسي، ج1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.

56. منوني محمد، ورقات عن حضارة المرينيين، جامعة حضارة المرنيين، الدار البيضاء، ط1، 2000.

57. منير الدين أحمد، تاريخ التعليم في الأندلس، ت: سامي سقار، دار المريخ، الرياض، 1981.

58. مؤنس حسين، تاريخ الفكر الأندلسي، الدار الثقافية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1955.

59. شيوخ العصر في الأندلس، دار الرشاد، القاهرة، ط2، 1955.

60. فجر الأندلس، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1992.

61. موسوعة تاريخ الأندلس، ج1، دار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط2، 1985.

62. نعنعي عبد الحميد، الدولة الأموية في الأندلس-تاريخ سياسي، الدار المصرية، القاهرة، ط1، 1966.

63. هروس مصطفى، المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري، المملكة المغربية، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، الدار البيضاء، 1997.

64. الهيلي معمد، تاريخ القضاء في الإسلام، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1415هـ.

65. وركالي حسن، ياقوتة الأندلس، دراسات في الثراث الأندلسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994.

66. قاسم مريم طويل، ألمرية في عهد المعتصم بن صمادح، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، ط1، 1999.

67.Douzil, Histoire des musulmans des Ponge, nouvelle Edition revenue et mise ajonc, l'Ey de 1932.

- **رابعا: الرسائل الجامعية والدوريات**

1. بوحسون عبد القادر، الأندلس في عهد بني أحمد، دراسة تاريخية وثقافية، رسالة دكتوراه، تخصص التاريخ الوسيط، جامعة تلمسان، 2013.
2. دنون علياء هاشم، فقهاء المالكية في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب، رسالة دكتوراه، تخصص التاريخ الوسيط ،جامعة الموصل، 2003.
3. زرقي نبيلة، الزخرفة في عمائر المغرب الأوسط والأندلس، القرن 07-08هـ، رسالة دكتوراه، تخصص تاريخ إسلامي، جامعة تلمسان، 2014.
4. بلميلود ناصر، الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، 541-667هـ، مذكرة لنيل شهادة ماجستر ،خصص تاريخ الوسيط، جامعة البويرة، 2015.
5. بولعراس خميس، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر الملوك والطوائف، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ اسلامي، جامعة باتنة، 2006.
6. بيومي عبير زكريا، دور فقهاء السياسي والحضاري في الأندلس في القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي،رسالة ماجستر، تخصص تاريخ اسلامي، مكتبة تاريخ وآثار دولة المماليك، 1992.
7. دعاولة يوسف أحمد، بنود عباد في إشبيلية، رسالة ماجستير، تخصص دراسة سياسية وحضارية، جامعة ملك عبد العزيز، الرياض، 1980.
8. شيخة جمعة، الحياة الفكرية والأدبية بالجزائر الشرقية في القرن الخامس والسادس هجري، رسالة ماجستر، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1983.
9. صرموا رابح، منهج النقد في الفقه الإسلامي، المذهب المالكي نموذجا، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة شلف، 2005.

10. كعوان حفيظ، أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بأفريقية من القرن)02-05هـ)، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة باتنة، 2008.
11. لعور ربيع، موقف الإمام أبو وليد الباجي من دليل الخطاب وأثره في اجتهاده الفقهية، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة باتنة، 2006.
12. مسوسة فاطمة، الحياة العلمية في عهد حكم المنتصر بالله 350-366هـ، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، جامعة تيارت، 2004.

- **خامسا: دوريات ومقالات**

1. قدوري سمير، الردود على ابن حزم بالأندلس والمغرب من خلال مؤلفات علماء المالكية، المجلة المحمدية، الرباط، العدد الثالث عشر، 1469هـ ، ص ص 7-13.

الملاحق

الملحق رقم 01

مراتب العلوم بحسب ابن حزم[1]

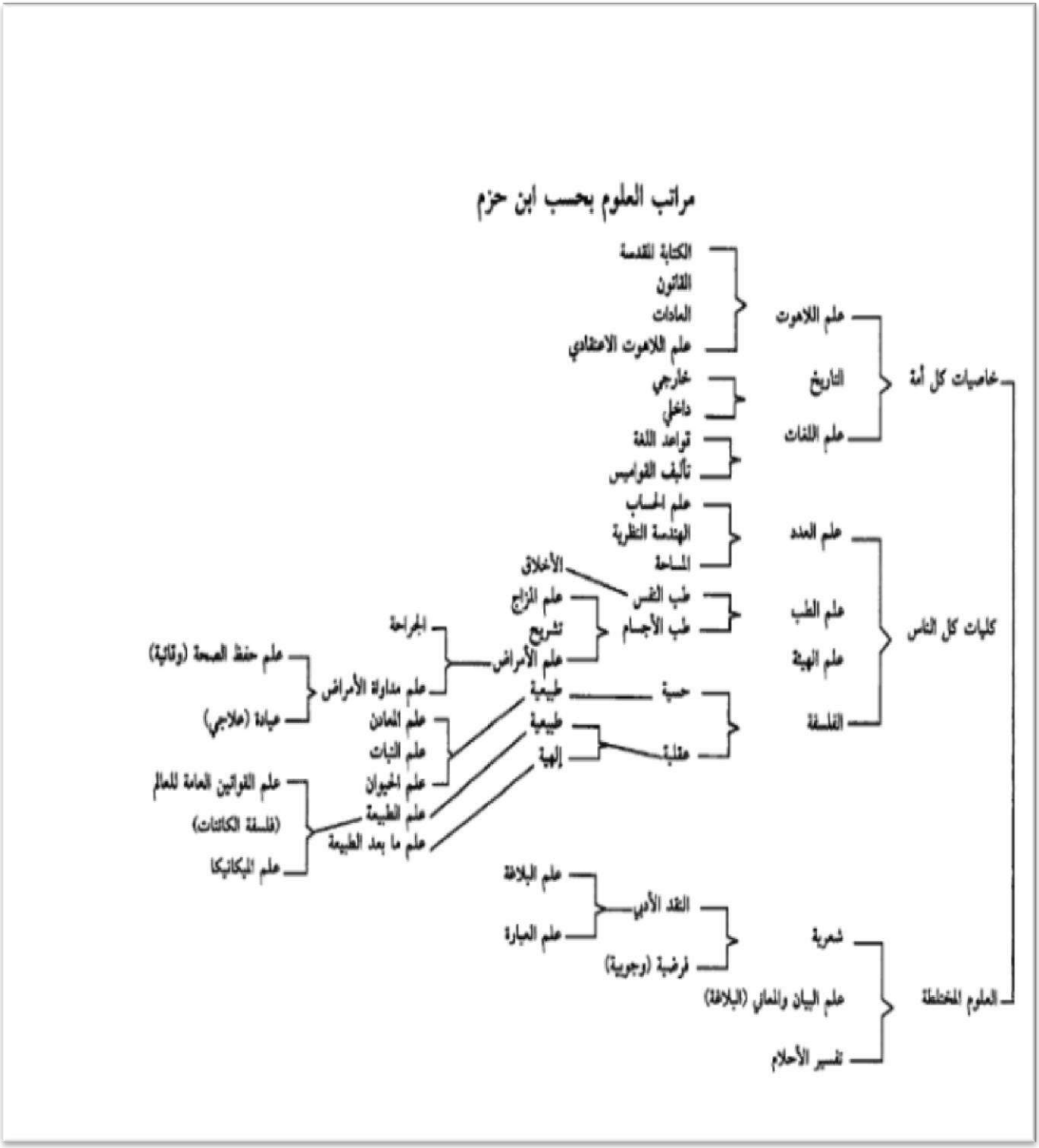

1- سلمى خضراء جيوسي، مرجع سابق، ص158.

الملحق رقم 02

دول ملوك الطوائف[2]

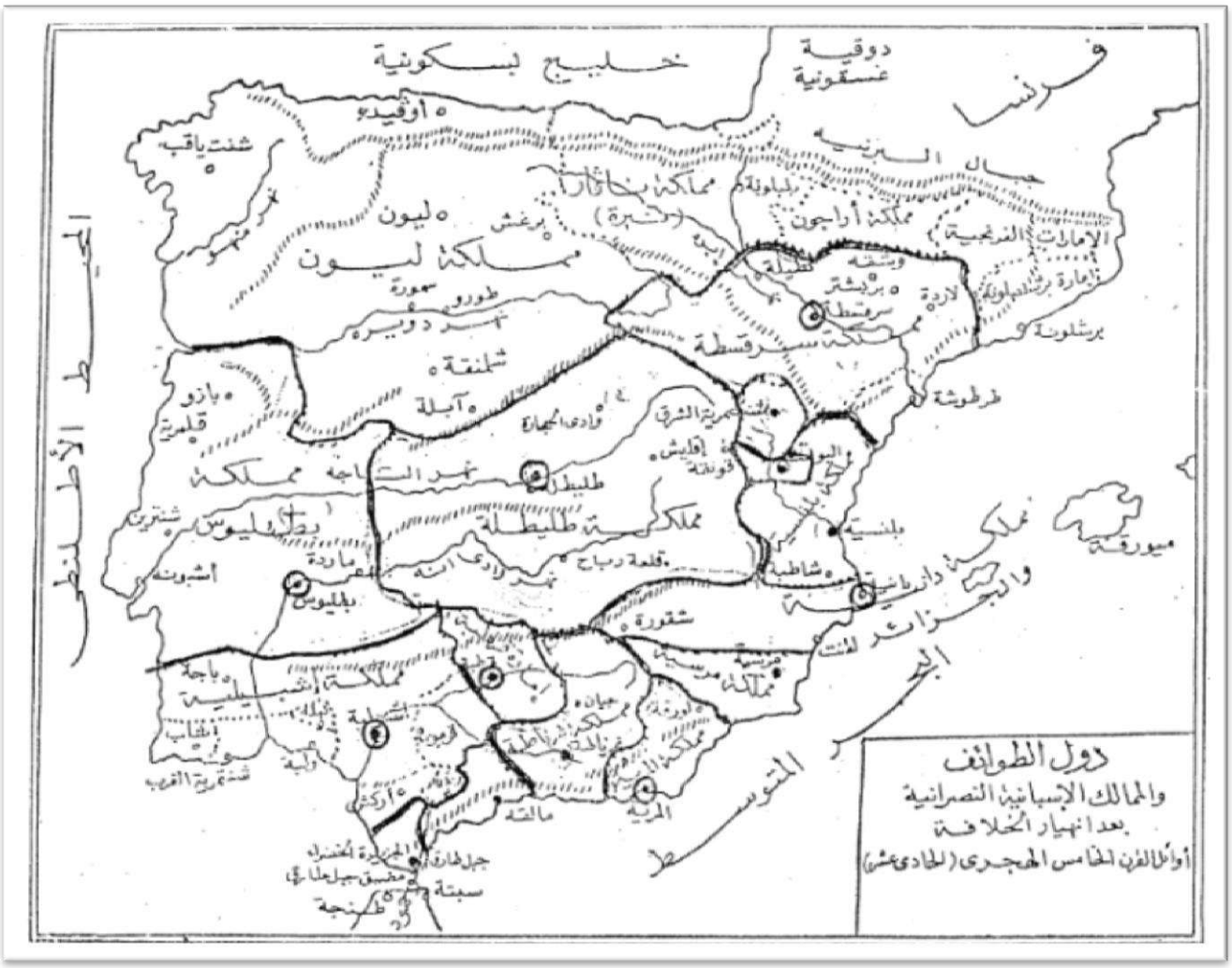

2- عبد الله البشري، مرجع سابق، ص420.

الملحق رقم 03

التأثير الفكري لابن الحزم والباجي على التابعين[3]

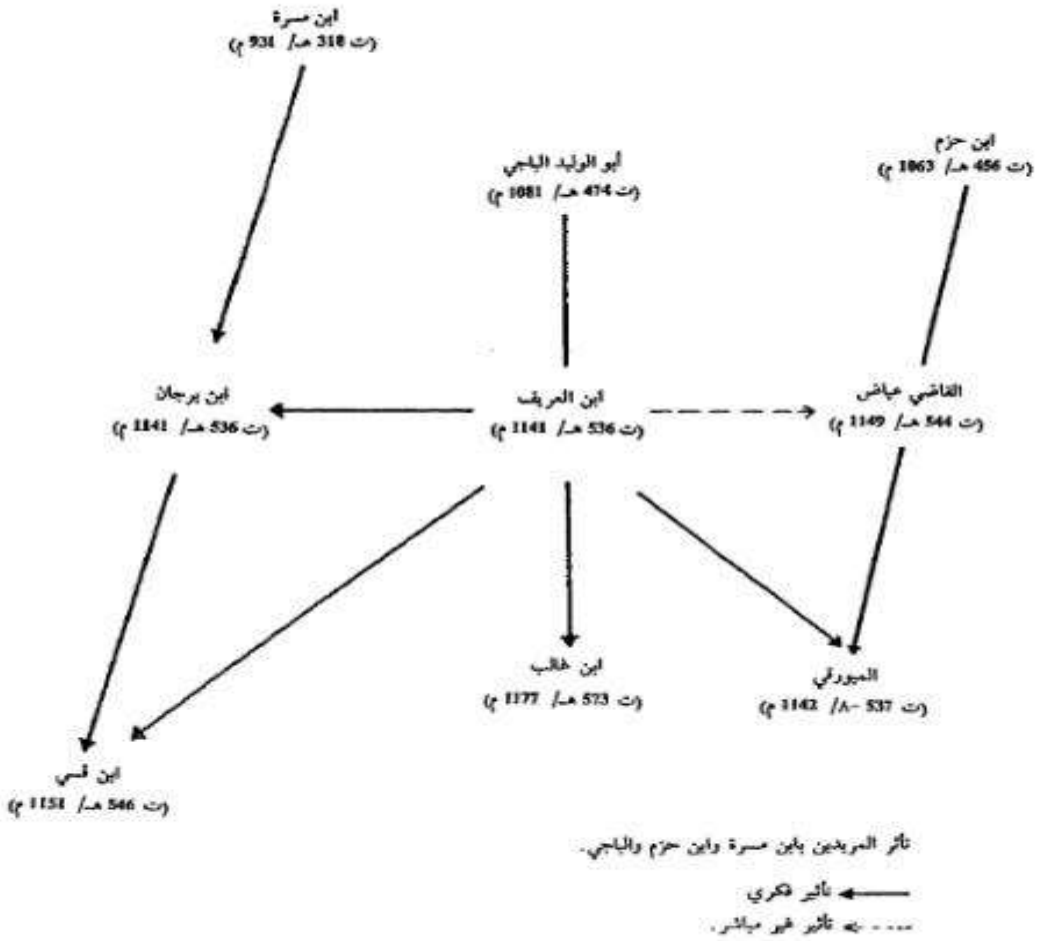

[3] – عصمة عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 19883،ص431.

الملحق رقم 04

مدينة الباجة[4]

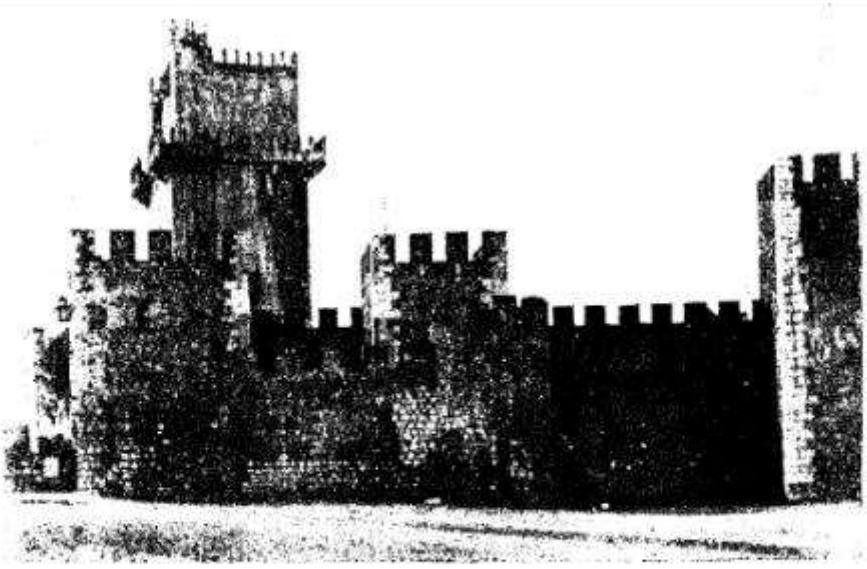

باجة . منظر عام للحصن

باجة . كنيسة الرحمة ذات العقود العربية

باجة . عقد داخل المدينة

4- محمد عبد الله عنان، الأثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، ص420.

الملخص:

الرسالة عبارة عند دراسة تاريخية وثقافية للأندلس خلال عهد ملوك الطوائف، فتسلط الضوء على جانب المناظرات فأبرزنا نشأتها وعوامل التي ساعدت بشيوعها في الأندلس وبما أننا اخترنا عصر ملوك الطوائف فارتئينا انتقاء نموذج الأمثل والأقوى في كل من المذهبين فاخترنا الباجي من المالكية وابن حزم من الظاهرية وحولنا ابراز قضايا التي اتفقا واختلفا فيها.

كما تطرقنا من خلال تعرضنا للمناظرات على تأثيرها على المجال الفكري وحتى القضاء والفتوى، الفقه وعلوم الدين.

الكلمات المفتاحية:

السجالات، الأندلس، المالكية، الظاهرية.

Résumé:

Il s'agit d'une étude historique et culturelle de l'Andalousie sous le règne des rois des sectes, qui a mis en lumière ses origines et les facteurs qui ont contribué à son ascension en Andalousie, en choisissant l'époque des rois des sectes comme le meilleur et le plus fort de chacune des deux sectes. Les questions dans lesquelles ils ont été d'accord et ont différé.

Comme nous avons discuté à travers l'exposition des débats sur l'impact sur le champ intellectuel et même le judiciaire et la fatwa, la jurisprudence et les sciences de la religion.

خطة البحث

- **مقدمة** ..... أ

الفصل الأول: الحركة المذهبية في الأندلس

أولا: المذهب المالكي في الأندلس **8**

أ. دخوله إلى الأندلس **8**

ب.دور الفقهاء في نشر وترسيخ المذهب **12**

ت.الإمام أبو الوليد الباجي **16**

ثانيا: نشأة المدرسة الظاهرية في الأندلس **18**

أ. أصول وأساس المدرسة الظاهرية **18**

ب.أشهر القضاة والفقهاء بالأندلس **30**

ت.الإمام ابن حزم **34**

الفصل الثاني: نشأة المناظرات في الأندلس

أولا: مفهوم ونشأة المناظرة عند المسلمين **40**

ثانيا: عوامل شيوع المناظرة في الأندلس **43**

ثالثا: مناظرة ابن الباجي وابن حزم **57**

الفصل الثالث: أثر المناظرات في الأندلس على الحياة الثقافية

أولا: المجال الفكري والسياسي **75**

ثانيا: القضاء والفتوى **82**

ثالثا: الفقه وعلوم الدين **87**

- **خاتمة** **93**
- **قائمة المصادر والمراجع**..... **97**
- **.الملاحق**..... **110**